

تأريخ الكنيسة



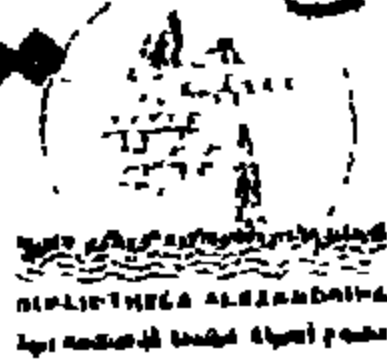
Bibliotheca Alexandrina



0015705

داريل

فائز الكتب



General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

چون لوریمر



صدر عن دار الثقافة ص٠ ب ١٣٠٤ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة
نشر أو طبع بالرونيتو للكتاب أو أى جزء منه بدون اذن الناشر . وللناشر
وحده حق إعادة الطبع ٣٥٥/١٠ ط ٨١/١ (١) ٥ - ٥
رقم الايداع بدار الكتب ١٥٩٥ / ١٩٨٢
طبع بمطبعة دار يوسف كمل - تليفون ٨٢٣٥٧٨

تمهيد

أعد هذا الكتاب عن تاريخ الكنيسة بناء على طلب لجنة النشر التابعة لسنودس النيل الانجيلي . وقد قابل هذا الطلب هوى فى نفسى اذ أننى كنت أحس بالحاجة الى مثل هذا الكتاب الشامل الذى يصور بقدر الامكان قصة نشأة الكنيسة ونموها فى العشرين قرنا الماضية ، لا سيما وأنا أقوم بتدريس مادة تاريخ الكنيسة بكلية اللاهوت الانجيلية بالقاهرة .

ولم يكن فى تصورى ، أول الأمر ، أن أكتب كتابا فى هذا الموضوع . لكن الفكرة تبلورت عندما كنت أبحث فى مجموعة كبيرة من كتب مشاهير المؤرخين لأجهز محاضراتى .

وسيرى القارئ بين صفحات هذا الكتاب جداول بأسماء المراجع الانجليزية التى رجعت اليها .

ولو أن الهدف الرئيسى من كتابة هذا الكتاب هو أن يكون مرجعا لطلبة اللاهوت فى كلية اللاهوت الانجيلية ، الا أننى أرجو أن يكون مرجعا مفيدا أيضا لكل المهتمين اهتماما جادا بتاريخ كنيستهم ، ومع أن كاتبه مشيخى وقد تظهر فيه بعض الاشارات البروتستانتية ، الا أننى بكل اخلاص وأمانة ، حاولت أن أتجنب كل الميول الطائفية حتى يتمكن الأرثوذكس والكاثوليك من الاستفادة منه أيضا .

والى جانب ذلك فقد حاولت أن أكتب كتابا مصريا فأضفت اليه بعض المعلومات والمراجع المصرية المعاصرة كلما أمكن ، وأرجو أن أقدم فى المجلدات التالية مادة هامة عن المسيحية المصرية ، حيث أن المسيحية الشرقية نمت مستقلة عن المسيحية الغربية •

أما الخطة التى تبنى على أساس الأجزاء التالية فهى كالاتى :

- من القرن الثالث الى قسطنطين الأكبر •
- القرنان الرابع والخامس الى أغسطينوس •
- القرون الوسطى •
- الاصلاح •
- من عصر النهضة الى عصر المسكونية فى القرن العشرين •

واننى لأشعر بأنى مدين بالشكر الخاص للدكتورة مرثا روى للكثير من النصح والتصحيح ، والى الدكتور فهم عزيز للترجمة الفصيحة المفهومة ، والى مارى لويز لوريمر لكتابة المخطوطة على الآلة الكاتبة ولأنها عاشت معى كزوجة وصديقة ومعينة فى عمل تطلب منها جهدا أكثر مما تطلب منى •

المؤلف

محتويات الكتاب

القرن الأول

الصفحة

أولا : العالم الذى جاء فيه المسيح :

(أ) الخلفية الرومانية اليونانية : ١٢

العالم المعروف - الأمن فى الامبراطورية - التسليح الرومانى -
الآلهة الوثنية - الفلاسفة اليونان - سقراط - أفلاطون -
أرسطو - الأبيقورية - الزواقية - الآلهة الشعبية - عبادة
الامبراطور - الديانة الشرقية - عبادة اميزيس - ممارسة
العبادات - روح العصر .

(ب) الخلفية اليهودية :

١ - الأحوال السياسية : ٢٢

الرجوع من السبى - الاسكندر الأكبر - السلوقيون - التأثير
الهلىنى - أنطيوخوس أبيفانس - الثورة الميكابية - الهسيديم -
الصدوقيون - بومبى والحكم الرومانى - أنتيياس - حكم
هيروودس الكبير - مشروعات هيروودس - موت هيروودس .

٢ - الحالة الدينية : ٣٠

الوحدة اليهودية - يهود الشتات - الدخلاء والمتعاطفون -
تطعيم اليهودية بالهلينية - فيلو اليهودى - اليهودية ومقارنتها
بالديانة الوثنية .

٣ - أنظمة الديانة اليهودية : ٣٢

المنزل اليهودى - الهيكل فى أورشليم - المجمع .

٤ - الأحزاب اليهودية : ٣٤

الصدوقيون - الفريسيون - الكتبة - الغيورون -
الايسينيون - انتظار المسيا .

محتويات الكتاب

ثانيا : ارسالية المسيح : ٣٩

جذور الكنيسة - المسيح رأس الكنيسة - الاشارات التي وردت عن
المسيح خارج الكتاب - ارسالية يسوع لكل الناس - تدريب الاثنى
عشر - الصلب والقيامة - ناموس المحبة - ملكوت الله - يهودية
يسوع - استقلالية يسوع - يسوع وتكوين الكنيسة - اعتراف
بطرس .

ثالثا : الكنيسة في اورشليم : ٤٦

الكنيسة أساس لعصر جديد - تأثير القيامة - يوم الخمسين -
عمل الروح القدس - عظة الرسول بطرس - مميزات كنيسة اورشليم -
الأمور التي ميزت المسيحيين - أنشطة الرسل ومواعظهم - مجيء
المسيح الثاني - حياة الشركة المسيحية - معنى كلمة « الكنيسة » -
تنظيم الكنيسة - قوة عمل المعجزات التي كانت للرسل - القيادة
والمسئولية في الكنيسة الأولى - المعارضة ضد الكنيسة - تردد
اليهود في اضطهاد المسيحيين - استشهاد اسطفانوس - النشاط
المرسلي الأول - مدى اتساع شهادة الكنيسة - بطرس المرسلي
المسيحي - نمو الكنيسة بين الأمم - أهمية كنيسة اورشليم .

رابعا : الرسول بولس ومسيحية الأمم :

(أ) بولس المرسلي : ٦١

مؤهلات بولس - استراتيجيات الرسول في عمله المرسلي - الكنائس
ذات الاكتفاء الذاتي - فردية الرسول بولس - الرسول بولس وكنيسة
اورشليم - مواعظ الرسول بولس - الرسول بولس الكاتب - الكنيسة
في مفهوم الرسول بولس - الرسول بولس والانقسامات الكنسية .

(ب) الرسول بولس والتهوديون : ٦٦

خبرة الرسول بطرس - أهمية « صيرورة الفرد يهوديا » - مجمع

محتويات الكتاب

أورشليم – نتائج قرار أورشليم – ناموس الطعام لليهود والأمم –
استمرار مشكلة التهوديين – تطور مشكلة التهوديين *

(ج) طبيعة الكنيسة الرسولية الأولى : ٦٩

الوظائف في الكنيسة الرسولية – الديداكي أو تعليم الرسل –
العبادة في الكنيسة الرسولية – المعمودية وعشاء الرب – السلوك
الاجتماعي المسيحي في الفترة الرسولية – توافق المجتمع المسيحي –
المساواة في المجتمع المسيحي *

خامسا : النصف الثاني من القرن الأول :

المصادر المحدودة للمعلومات التاريخية : ٧٥

(أ) مدى انتشار الكنيسة جغرافيا في القرن الأول : ... ٧٦

الكنيسة في فلسطين وسوريا – الكنيسة في مصر (تعرف بكنيسة
الاسكندرية) ، الكنيسة في آسيا الصغرى (تعرف بكنيسة أنطاكية) –
الاضطهاد في بيشونية – الكنيسة في روما – سقوط أورشليم
والكنيسة اليهودية – المسيحية اليهودية اللاحقة *

(ب) المسيحية واليهودية في القرن الأول : ٨٠

تزايد العداء اليهودي – رد فعل المسيحيين ضد اليهود *

(ج) الايمان والنظام في القرن الأول : ٨٢

الفكر اللاهوتي لكنيسة القرن الأول – أهمية العهد القديم في
الكنيسة الأولى – الأناجيل والكنيسة الأولى – العبارات العقائدية
الأولى – العبارات العقائدية في العهد الجديد – العقائد في كتاب
تعليم الرسل – تحديات الهرطقة – المجى الثاني – الوظائف الكنسية –
أكليمندس الروماني والتسلسل الرسولي – أغناطيوس والأساقفة
الملكيون *

محتويات الكتاب

(د) الاضطهاد المبكر : ٨٩

المسيحيون كجماعة مميزة عن اليهود – المسيحيون كأعداء للناس –
المسيحيون يستعدون للاضطهاد – اضطهاد نيرون ٦٤ م – دومتيان –
بلنى والاضطهاد فى بيتينية – استشهاد أغناطيوس – الاضطهاد كما
هو مدون فى سفر الرؤيا – سياسة هادريان •

القرن الثانى

اولا : المدافعون : ٩٦

(١) المدافعون كحماة للعقيدة : ٩٧

المدافعون العظام •

(ب) جاستن مارتر : ٩٨

قبول جاستن للمسيحية ، دفاع جاستن عن المسيحية – جاستن
ولاهوت الكلمة •

(ج) قيمة المدافعين : ١٠٠

٤ – المدافعون وكتاباتهم المعروفة :

ثانيا : هراطقة القرن الثانى :

– عصر الهرطقات ١٠٢

– الدوسيتية ١٠٢

– الغنوسية ١٠٣

١ – أصل الغنوسية

٢ – تعاليم الغنوسية •

محتويات الكتاب

- ٣ - أمثلة من الفكر الغنوسى ١٠٤
الغنوسية المصرية - الغنوسية اليونانية - الغنوسية والمسيحية -
التأثير الغنوسى فى اليهود - سيمون المجوسى أو الساحر -
الدعوة الغنوسية *
- ٤ - الغنوسيون المسيحيون ١٠٧
(أ) ساترينيوس *
(ب) باسيليدس *
(ج) فالنتينس : حوادث داخل الملة - حوادث خارج الملة فى
العالم المادى *
- ٥ - خطر الغنوسية على المسيحية ١١١
- ٦ - أخطاء الغنوسية ١١٢
- (د) المارسونية ١١٤
حوادث حياة مارسيون - كنيسة مارسيون - تعاليم مارسيون عن
العهد القديم - المسيح فى نظر مارسيون - ملاحظات عن مارسيون *
- (هـ) المونتانية ١٢٠
أصل المونتانية - نبوة مونتانوس - بريسكا وماكسميلا والمجىء
الثانى - الكنيسة المونتانية - المعارضة ضد المونتانية *
- (و) الرؤية Apocalyptic

ثالثا : الاضطهاد فى القرن الثانى : ١٢٦

- تحدى المسيحيين للعالم الوثنى - هجوم الفلاسفة على المسيحية -
سيلسيوس - أسباب تجدد الاضطهاد - استشهاد بوليكاربوس -
التطرف فى الاستشهاد - الاضطهاد فى سميرنا - آلام بوليكاربوس -
هروب بوليكاربوس والقبض عليه - شهادة بوليكاربوس - شهداء
غالة - الفتاتان الخادمتان - الأسقف بوثينوس - تكميل الشهداء -
الاضطهاد يستمر - شهيد مصرى - انتصار الشهداء *

محتويات الكتاب

رابعاً : ايريناىوس : ١٣٦

حياة ايريناىوس وعمله – ايريناىوس والكتاب المقدس – سلطان
الكنيسة ووحدها – ناموس المسيح – الفرائض – فكرة ايريناىوس
اللاهوتى عن الكلمة – فكر ايريناىوس عن الخلاص – ايريناىوس
المنسقى .

خامساً : الربع الأخير من القرن الثانى – امتداد الكنيسة فى الامبراطورية :

- (أ) تحسن أحوال المسيحيين ١٤٢
- (ب) حالة الكنيسة الداخلية ١٤٣
- (ج) قضية الفصح ١٤٣
- (د) ازدياد أهمية روما ١٤٤

سادساً : الخدمة – الكتب القانونية – العقيدة : ١٤٧

(أ) الخدمة :

حكام الكنيسة – ترقية الأساقفة تطور طبيعى – تصدى
الهرطقات – التسلسل الرسولى – انتخاب الأساقفة ورسامتهم
– التنسيق فى السلطان الأسقفى .

(ب) قانونية الأسفار المقدسة : الكتب المقدسة فى عصر ما بعد
الرسول – الأسس التى بنى عليها قبول الكتب المقدسة –
مصادر معرفتنا بالأسفار المقدسة .

(ج) قانون الايمان : كيف تطورت العقائد – أمثلة من عقائد العهد
الجديد – أجثوس علامة السمكة – صيغ وضعت للدفاع عن
الايمان – صيغ عقائد وقت المعمودية .

ملحق ٢ تاريخ الحوادث الرئيسية الى سنة ٢٠٠ م ١٨٥

ملحق ١ قادة الكنيسة خلال القرن الأول والثانى .

القرن الأول

- ① العالم الذي جاء فيه المسيح
- ② ارسالية المسيح
- ③ الكنيسة في اورشليم
- ④ الرسول بولس ومسيحية الأمم
- ⑤ النصف الثاني من القرن الاول

العالم الذى جاء فيه المسيح

لتكوين فكرة حقيقية عن تاريخ الكنيسة المسيحية ، يلزم أن نعرف شيئاً عن حوض البحر الأبيض المتوسط الذى ولدت فيه الكنيسة . وكتابات العهد الجديد تعكس هذه الحقيقة عندما تشير الى الحكام الرومان أو الفلسفة اليونانية أو الناموس اليهودى ، ومع ذلك فالاهتمام الأساسى لهذه الكتب المقدسة كان موجهاً لشيء آخر غير التاريخ العالمى أو مناقشات الفلاسفة .

لذلك قد يساعدنا كثيراً فى دراسة بداءة الكنيسة ونموها أن ندرس بايجاز الحالة السياسية والدينية للعالم فى القرن الأول الميلادى . وتظهر فى هذا المجال ثلاث قوى رئيسية : اليونان والرومان واليهود . ومع انفصالها وتميزها بعضها عن البعض الا أنها كانت العناصر الرئيسية لعالم واحد تفاعلت فيه معا شدا وجذباً .

ولتقريب الهدف من هذه الدراسة سنقسمها الى قسمين رئيسيين :

١ - الخلفية الرومانية اليونانية .

٢ - الخلفية اليهودية .

١ - الخلفية اليونانية الرومانية :

استخدم المؤرخون هذا الاصطلاح (اليونانية - الرومانية) نظراً لما رأوه من الامتزاج الكامل بين الحضارتين (ولعل المتحف اليونانى الرومانى فى الاسكندرية هو خير شاهد على ذلك) . ولقد كان للبناء

السياسى الرومانى الذى كان يتصف بالأصالة والقوة ، أثر كبير فى امتداد الكنيسة ، وكذلك كان تأثير الفلسفة والآداب اليونانية على قادة الكنيسة المسيحية الأوائل اذ ساعدتهم على التعبير عن عقائدهم اللاهوتية والدفاع عنها .

العالم المعروف :

فى الوقت الذى ولد فيه المسيح كان العالم المعروف فى ذلك الوقت - وهو حوض البحر الأبيض المتوسط - تحت سيطرة الرومان يحده غربا المحيط اللانهاى (لم تكن أمريكا معروفة فى ذلك الوقت) وجنوبا أفريقيا السوداء والغابات والجبال ، وقبائل أوربا البربرية الى الشمال ، والى الشرق البلاد المجهولة الغامضة : الهند والصين . هذه المناطق التى ذكرناها لم تكن جزءا من العالم المعروف . فحدود الدولة الرومانية كانت هى حدود العالم .

الأمن فى الامبراطورية :

كان الأمن بحسب مقاييس ذلك العصر فى وضع ممتاز ، فالدولة الرومانية ، لم تضارعها أية امبراطورية أخرى سابقة سواء كانت اليونان أم مصر أم آشور أم بابل ، فى المساحات الشاسعة من العالم التى حكمتها ، ولا فى طول الزمن الذى ظل فيه سلطانها حيا ملموسا . ورغم بعض الثورات القليلة العدد والضعيفة التأثير ، وبعض الحوادث التافهة على حدود هذه الامبراطورية ، استمر النسر الرومانى (رمز القوة الرومانية) يرفرف على منطقة يحدها من الغرب جبل طارق وبريطانيا ومن الشرق نهرا دجلة والفرات ، اذ لم يكن هناك سوى امبراطور واحد وجيش واحد وقانون واحد . وبذلك صار البحر آمنا للرحلات والتجارة ، وسهل السفر فى البر نظرا للطرق التى عبدها الرومان (التى لاتزال آثارها باقية الى الآن) . بل كان هذا الأمن والسلام النسبى من أكبر العوامل التى سهلت طريق المبشرين حاملى الانجيل ، لينشروا الانجيل بسرعة مذهلة فى بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط . لقد أحس كل الناس - حتى العبيد منهم - بالأمان بكيفية لم يعرفوها من قبل .

والى جانب ذلك فقد ربطت اللغة اليونانية الشعوب المختلفة التى كانت تحت حكم الامبراطورية بعضها ببعض ، فصاروا وكأنهم شعب واحد ، يعرفون هذه اللغة ويستخدمونها كلغة أساسية ، وعلى هذا الأساس استخدمها كتاب العهد الجديد فى شهادتهم وكتابتهم .

التسامح الرومانى :

ومن مآثر الرومان أيضا أظهروا تسامحا عظيما تجاه الاختلاف اللغوى والثقافى والدينى ونظام الحكومات داخل الامبراطورية . وفى غالب الأوقات كانوا يتركون للشعوب الحرية فى أن ينظموا شئونهم بأنفسهم^(١) أما فى الأمور الدينية والعبادات فقد ترك الحكام الناس يعبدون آلهة غير رومانية الأصل ، ويقومون بطقوس محلية دون التدخل من جانبهم ، وذلك لأن الرومان أنفسهم كانوا يعبدون آلهة متعددة (مع أن المسيحيين لاقوا مصاعب جمة من جهة عبادة الامبراطورية ديانة الدولة الرسمية فى زمن لاحق) .

ويعتبر هذا الاستقلال الجزئى للشعوب من انجاز الدولة نفسها ، وأساسا للأمن الذى أحس به كل فرد وشعب حتى لمن لم تكن لهم الجنسية الرومانية ولكن لا يفهم من هذا أن حياة الذين لم تكن لهم الجنسية الرومانية حياة سهلة ، فالضرائب كانت باهظة ، وعقوبة الخطأ كانت قاسية ووحشية ، وكان الرومان يعاملون من لا يحمل الجنسية الرومانية معاملة مواطن من الدرجة الثانية وهكذا كانوا يعاملون اليهود .

الآلهة الوثنية :

كانت شعوب العالم الرومانى اليونانى القديم تعتبر بحسب المقاييس العصرية متقدمة ثقافيا وحضاريا ، ولكنها فى نفس الوقت كانت متخلفة دينيا . كانوا متدينين ، وكانوا يعتقدون أن كل ما يحدث فى الطبيعة من

(١) يمكننا أن نلمس هذا الموقف فى محاكمة يسوع عندما أراد القادة اليهود أن يقتلوا يسوع باجبار بيلاطس على قبول حكمهم على يسوع وادعائهم عليه أنه يريد أن يكون ملكا أى أنه كان متآمرا ضد قيصر (لوقا ٢٣ : ٢ ، يوحنا ١٩ : ١٢) .

عمل آلهة للخير أو آلهة للشر تسيطر على أقدار الناس ، وكان على هؤلاء أن يتملقوها بالصلاة والطقوس والذبائح . وكان عدد هذه الآلهة كبيرا ، وتخصصاتها متعددة ، وترتبط ببعض الأمكنة (المزارات) والأزمنة (الأعياد) ، وتزداد شعبيتها أو تقل بحسب فكرة الناس عنها وعن تأثيرها .

وفى بداية العصر المسيحي بدأ الناس يملون عبادة تلك الآلهة القديمة، وبدأوا ينتقلون من مزار الى مزار ومن عيد الى آخر ، يفتشون عما يشبع جوعهم الروحي ، وبدوا فى حيرة وتخبط كلما زادت رغبتهم فى اجابة حقيقة لأسئلة عميقة فى حياتهم . لقد كانوا فى الحقيقة يفتشون عن « طريق أفضل » .

الفلاسفة اليونانيون :

ومن الناحية الأخرى كانت هناك طبقة بالغة الثقافة واسعة التأثير ، هم الفلاسفة اليونانيون ، الذين وضعوا ونشروا مفاهيم ، كان لها تأثيرا جذرى ليس على معاصريهم فقط بل على كل تاريخ الكنيسة والمدنية الغربية . ولقد ورثنا عن أوائلهم مفهوما عن الكون وعن القوى التى تحمله وتسيره ، وهى عبارة عن عنصر نارى وعقل كونى اسمه « اللوغوص » أو « الكلمة » الذى تتولد منه كل أرواح الناس .

سقراط ، أفلاطون ، أرسطو :

عندما جاء سقراط العظيم (٤٧٠ - ٣٩٩ ق م) بنى سلوك الانسان وعمله الصالح الأساسى على المعرفة التى تتجسم فى الفضائل الأربع : الحكمة ، الشجاعة ، ضبط النفس ، العدل . أما أفلاطون تلميذه الذى لا يقل شهرة عنه (٤٢٧ - ٣٤٧ ق م) فقد علم بأن هذا العالم المحسوس الذى نعرفه بالحواس الخمس النظر واللمس والسمع والشم والذوق، ليس هو العالم الحقيقى لكنه ظل لعالم الأفكار الذى لا يمكن أن تصل اليه هذه الحواس ، بل يدرك عن طريق النفس . هذه الأفكار البالغة السمو هى الحق والجمال والصلاح . وبقدر ما يكون الانسان أمينا فى تقصى وطلب عالم الأفكار الحقيقى ، تاركا خلفه العالم المحسوس - عالم الظلال - بقدر

ما يقترب من الروح الحقيقي . لكن بمجىء أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) تغيرت هذه النظرة ، فذكر أن العالم المحسوس هو عالم حقيقي ، وأن الأفكار الأبدية والمادة المحسوسة غير منقسمة، وأن الكون نفسه أزلي . ومع ذلك فقد افترض أن هناك محركا أول للكون يفسر حوادث التغير في الطبيعة ، وهذا الافتراض صار بدوره برهانا على وجود الله ، استفاد منه أساطين اللاهوت في القرون الوسطى ، وإلى جانب ذلك فقد اعتقد أرسطو ككل الفلاسفة الاغريق بوجود شرارة الهية أو « اللوغوص » التي يتشارك فيها الانسان مع الله .

والى جانب هؤلاء الفلاسفة الذين صارت فلسفتهم أساسا لتفكير اللاهوتيين والمفكرين الذين جاؤا بعدهم ، ظهرت حركتان جمعتا بين الدين والفلسفة ، كان لهما أتباع كثيرون في العالم الروماني - اليوناني ، وكان لهما تأثيرهما على التفكير السلوكي المسيحي وهما الأبيقورية والرواقية .

الأبيقورية : Epicureanism

اعتقد أبيقور - مؤسس الأبيقورية (٣٤٢ - ٢٧٠) أن العالم بل الآلهة نفسها جاءت الى الوجود بالصدفة ، وأن أرواح البشر مادية تماما كأجسامها . ويمكن تلخيص تعاليم أبيقور في العبارة التالية : « لا يوجد في الله ما يخيفنا ولا يوجد ما نشعر به في الموت . ويمكن احتمال الشر ، كما يمكن البلوغ الى الصلاح » .

ومع أن أبيقور نفسه كان شديد التقشف ، ولكن تعاليمه كان لها تأثير عكسي على الناس ، فجعلهم لا يهتمون بالمستقبل ، وصاروا ينظرون الى كل الأعمال مهما تناقضت على أنها متساوية وكلها جيدة ، وأصبح شعارهم : « لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت » .

ولعل الرسول بولس كان يشير الى أتباع أبيقور عندما قال : « الذين نهايتهم الهلاك ، الذين الههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين يفتكرون في الأرضيات » (فيلبي ٣ : ١٩ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٣٢) .

الرواقية : Stoicism

أما الحركة الثانية فكانت تسمى «الرواقية» . ومع أنها كانت يونانية الأصل إلا أنها انتشرت بين الرومانيين المثقفين ، واعتبرت أسمى ما وصلت اليه الوثنية من أخلاقيات . وكان من قادتها اليونانيين زينو Zeno (٢٦٤ ق م) وكريسيپس Chrysippus (٢٨٠ - ٢٠٧ ق م) ولكن أهمهم جميعا كان بوسيدونيس Poseidonis (١٣٥ - ٥١ ق م) . أما الرومانيون فكان أهمهم سنيكا Seneca (٣ ق م - ٦٥ ق م) ، ابقتيس Epictetus (١٢١ - ١٨٠ م) . وكانت - مثلها في ذلك مثل الأبيقورية - تعتقد أن الكون مادي صرف غير أن مادته اعتبرت أكثر شفافية ، وكلما كان الشخص أكثر شفافية كان أكثر روحانية . واعتقدت الرواقية أن أصل كل الخليقة هو « اللوغوص » روح العالم الحى ، والعقل الذى ينساب فيه ، والذى يعتبر العقل البشرى جزءا منه . ولقد أطلقت عليه الرواقية « الاله الداخلى » واعتقدت أن كل الآلهة المعروفة ما هى إلا أسماء للقوى التى تنساب من هذا الاله . وطاعة العقل هى الواجب الأسمى والهدف الوحيد من هذه الحياة ، وحرية الانسان لا تتضمن أن يحيا بحسب غرائزه ، ولكن ليطيع أوامر ومطالب العقل الذى هو الاله الداخلى . وكانت الرواقية بالطبع « حلولية » Pantheistic « لأنها كانت تعتقد أن العقل الالهى ينتشر فى كل المادة . ولكن أخلاقياتها العالية وإيمانها بأخوة جميع الناس ، جعلتها تشابه المسيحية فى نواح كثيرة ، ولكنها كانت تناقضها فى زهداها الناس وكبريائها وخلوها من التواضع والعطف المسيحيين . ولقد كان من حسنات الرواقية تلك الحياة العظيمة التى كان يعيشها بعض قادتها وبعض الأباطرة الرومانيين ، وفى اتجاه القانون الرومانى لنشر العدل الحقيقى بين جميع الناس حتى للعبيد أنفسهم ، وفى الإنكار القاسى لمطالب الجسد الذى ظهر فى الرهبانية المسيحية التى نشأت بعدها بعدة قرون .

الآلهة الشعبية :

من الأمور المعروفة فى ذلك الوقت أن الطبقات المثقفة التى تميزت بكثير من العقائد ، كالرواقية والأبيقورية لم يكن يعنيتها كثيرا أن جماهير الناس الأخرى كانت لا تزال تحت سيطرة الديانات الوثنية القديمة والآلهة الشعبية بمزاراتها وأعيادها مثل هرمس (السرعة) أفروديت (الحب) ، دايونيسوس

(الخمير) ، ديميتري (الخصوبة) زيوس (الشمس) ، أبولو (رجولة الشباب) ، أسكاليبيس (الطب) ، أورفيوس (الموسيقى) ، وغير ذلك .
وكان الاعتقاد العام هو أن التمسك بهذه الآلهة شيء ضروري لضمان أمن الدولة . أما الطبقات العليا فكانت تنظر الى هذا التعدد في الآلهة، بنوع من الشك ومع ذلك فقد قال سنيكا الفيلسوف الروماني : « ان الانسان الحكيم يتم كل الأوامر الدينية لا لارضاء الآلهة ولكن لأن القانون يتطلبها » .

عبادة الامبراطور :

كانت احدى تلك الديانات الشعبية التي بدأت تنتشر في تلك الحقبة من الزمن ، تتكون من ربط الوطنية بالطقوس التي كان محورها الدولة ، مع اتخاذ الامبراطور مركزا لها ، ولهذا فقد جعلوا من الامبراطور الها ، وأصبحت عبادته واجبا وطنيا على كل مواطن^(١) ، وكان يظهر على أجد وجهى العملة المتداولة في عصر المسيح رأس الامبراطور أغسطس قيصر الذى كان قد توفى في ذلك العهد ، مكتوبا تحتها : « الله الحاكم الأعظم » .
هذه العبارة التي كانت توجه الى الحاكم كتجسيد للدولة أو الى عبقريته، أو الروح التي تسكنه ، انتشرت بسرعة ، وكانت أكثر الديانات تغلغلا بين الناس وأدقها نظاما ، وكان هدفها الأساسي أن تقوى السلطة المركزية لروما ، لا أن تكشف عن الذين لا يحبون وطنهم . ولكنها صارت بمرور الوقت تحديا صارخا ضد الكنيسة الأولى ، لأن الذين رفضوها ، اتهموا لا بالزندقة فقط بل بالخيانة السياسية ، ووصل الأمر الى أن صار الامتناع عن عبادة الامبراطور نقطة البدء في اضطهاد المسيحيين في القرن الثالث .

الديانات الشرقية :

ولا يمكن أن تكتمل صورة الموقف الدينى فى العالم الرومانى - اليونانى فى عصر المسيح دون ذكر ما يسمى « بالعبادات الشرقية » .
ويطلق على هذه العبادات اسم « الديانات السرية » . وقد جاءت من أماكن متعددة : فمثلا جاءت عبادة الأم العظيمة من آسيا الصغرى ، وايزيس وأوزوريس من مصر ، ومثرا من بلاد فارس (ايران) . وكانت ديانات

(١) يرجح أن الرومانيين قد اقتبسوا عبادة الامبراطور من المصريين الذين عبدوا فرعون كاله ، وكان هدف الرومان ربط الدولة معه وتأكيد إخلاص الروماني لوطنه .

متجانسة سهلة الاختلاط والتمازج بعضها مع بعض ومع الطقوس الرومانية (١) .

عبادة ايزيس :

انتشرت عبادة ايزيس فى أرجاء الامبراطورية ، وهى عبادة نبتت فى مصر فى الألف الثانية قبل الميلاد . وكان المصريون يعتبرون ايزيس هذه ، الأم العظمى التى تتجسم فى القوة الخالقة للتربة . وكان زوجها أوزوريس وهو أخوها فى نفس الوقت ، وقد أنجبت منه حورس الذى ولدته بعد أن قتله أخوه الشرير ست . وقد وجدت ايزيس جثة زوجها فأخفتها ولكن الأخ الشرير اكتشفها وقطعها الى أجزاء صغيرة نشرها فى كل أرض مصر فما كان من ايزيس الا أن جمعت هذه الأجزاء وأرجعت زوجها بقوة سحرية الى الحياة مرة أخرى . هذه الأسطورة تمتلئ بالرموز : فازوريس يرمز الى الشمس التى يتغلب عليها ست الذى يمثل الليل . أما ايزيس فهى السماء الشرقية عند الفجر التى تلد حورس الذى يرمز الى النهار الجديد . وقد بقيت طقوس هذه العبادة متركزة فى معبدها العظيم فى فيلة حتى سنة ٥٦٠ م . أما اليونانيون فقد جسموها فى الآلهة ديميتر Demeter وبمرور الأيام صارت ايزيس المثال لكل الآلهات .

ممارسة العبادات :

تتميز هذه العبادات الشرقية بالاعتقاد فى اله فاد مات وقام مرة أخرى . وقد صارت دورة الفصول الطبيعية ، والمحاصيل عندما تزرع وتنمو وتموت وتنمو مرة أخرى رمزا لموت وولادة الروح البشرية . وعندما كان يريد أحدهم الانضمام الى إحدى الديانات كانت تقام له طقوس خاصة لادخاله عضوا فى الطائفة ، وفى هذه الطقوس يشارك العضو فى موت وقيامة الاله . وفى عبادة ايزيس Isis كان العضو يولد من جديد عندما يستحم فى مياه مقدسة . أما فى عبادة الأم العظمى أو مثرافكان يستحم

(١) جاءت فى ص ١٩ من سفر الأعمال قصة الصعوبات التى واجهها الرسول بولس فى أفسس من جراء عبادة ارطاميس التى كانت إحدى الهات اسيا الصغرى التى وجدت لها صدق واسعا فى بلاد اليونان .

فى دماء ثور ، فىعطى حياة جديدة • ولقد تطورت عبادة مثرا الى عبادة الشمس فى أيام قسطنطين •

روح العصر :

من هذا الوصف السابق للعالم الرومانى الذى ولدت فيه المسيحية ، يتضح للدارس أن هناك أصواتا متعددة كانت تحض الناس على اعتناق هذه المدرسة الفكرية أو تلك أو الدخول فى هذه الديانة أو تلك ، ولهذا بدأ الارتباك الفكرى يسود ، وتولدت من ذلك موجة عارمة من اليأس والتشاؤم • فالعالم شرير والحياة لا معنى لها ، ولا جواب لأسئلة جذرية فى النفس البشرية • وكم من عبادات ثبت فشلها فى اشباع الانسان • وانتشر الاحساس بالذنب ، والحاجة الملحة للخلاص والرجاء • ولا عجب اذا أن يظهر ذلك الشخص الذى يجذب الجميع اليه ، وظهوره هذا نسميه « ملء الزمان كما يقول الرسول بولس » فلما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس ليفتدى جميع الذين هم تحت الناموس لننال التبني (غلاطية ٤ : ٤ و ٥) •

Recommended English Readings

**Foster. John — The First Advance (Church History I),
PP. 1 - 12.**

Frend, W.H. C. The Early Church, PP. 15 - 25.

**Latourette, Kenneth S. — A History of Christianity,
(abridged version), PP. 20 - 29.**

**Lietzmann, Hans — A History of the Early Church,
Vol. I, PP. 154 - 176.**

**Walker, Williston — A History of the Christian church,
PP. 3 - 11.**

**Davies. J. G. - The Early Christian Church,
PP. 36 - 36.**

(ب) الخلفية اليهودية (أ) الحالة السياسية

الرجوع من السبي :

تأثر موقف الشعب اليهودي كثيرا ، فى أيام المسيح ، بالانقسامات السياسية داخل اليهودية نفسها ، ومن تغير مراكز القوة فى الدول العظمى حولهم ، ولهذا فالمعرفة الصحيحة لموقفهم هذا ، تتطلب دراسة تاريخهم بدءا من رجوعهم من السبي البابلى فى أثناء حكم كورش الفارسي سنة ٥٣٩ ق م . وفى ذلك الوقت أعاد الشعب بناء الهيكل وأسوار اورشليم تحت اشراف عزرا ونحميا ، ولم يكن الراجعون من السبي سوى بقية صغيرة وجدت وطنها الصغير قد تغير كثيرا تحت تأثير الثقافة الهلينية والنفوذ الهليني اللذين انتشرا فى شرق البحر الأبيض المتوسط منذ القرن السابع قبل الميلاد .

الاسكندر الأكبر :

ازداد تأثير الثقافة اليونانية بوصول الاسكندر الأكبر الى الحكم (٣٥٦ - ٣٢٣ ق م) وهو يعد بحق من أعظم القادة العسكريين فى كل العصور . فحينما خلف أباه فى العرش أخمّد عدة ثورات قامت بها بعض الدويلات اليونانية ، ثم تقدم الى بلاد الفرس ففتحها وأخضعها بعد أن تحكم فى كل شرق البحر المتوسط . ولكى يصل الى هذا الغرض فقد زحفت جيوشه جنوبا الى فلسطين ومصر (٣٣٢ ق م) وهناك أكرم المصريون وفادته ونادوا به ابنا للاله آمون رع (اله الشمس) مما جعله يظن أنه من أصل الهى . وفى ذلك الوقت أسس الاسكندر مدينة الاسكندرية التى بقيت لمدة طويلة مدينة يونانية . ولما ترك الاسكندر مصر تقدم شرقا حتى وصل الى الهند وأفغانستان ، ثم اضطرت جيوشه المتعبة للرجوع . لكنه مات فى سن الثالثة والثلاثين فانقسمت امبراطوريته الشاسعة بين قادة جيوشه المتشاحنين ، ومع ذلك فقد بقيت آثار الامبراطورية وانجازاتها فى انتشار اللغة والثقافة والدين والفلسفة فى كل بلاد المنطقة وبخاصة فى مصر .

البطالة فى مصر :

وجاءت مصر من نصيب أحد قادة الاسكندر اسمه بطليموس سوتير Soter الذى تمكن من تثبيت دعائم حكمه بعد فترة من النضال . وكان المصريون فى ذلك العصر قد عرفوا الحكم الأجنبى فتعودوا على معاناة البيروقراطية والضرائب الثقيلة التى انتشرت فى عهد البطالة بكيفية لم تختلف كثيرا عما كانت عليه فى أيام الفراعنة .

وكان من أهم أعمال بطليموس سوتير اهتمامه الشديد بمدينة الاسكندرية حتى صارت مركزا هاما للثقافة الهلينية فأسس مكتبتها العظيمة التى صارت مقصدا للكتاب والمفكرين من جميع أنحاء العالم .

ولقد جاء بعد بطليموس سوتير ثلاثة عشر حاكما من نفس الأسرة كانت آخرهم كليوباترة التى عرفت فى التاريخ بعلاقتها بالقيصر وأنطونيوس ، ولقد كان انتحارها سنة ٣٠ ق م علامة على ابتداء الحكم الرومانى وقد بدأه أوكتافىوس الذى عرف فى التاريخ باسم أوغسطس قيصر .

مصر كمصدر للطعام :

وتستحق مصر أن يذكر عنها هنا أنها استمرت مطمعا لكل الامبراطوريات المتعاقبة سواء أكانت فارسية أو يونانية أو رومانية ، رغم أن أيام مجدها الحقيقى كانت قد انتهت . فشعبها كان كادحا ومحبا للسلام ، وتربتها الخصبة التى تغمرها مياه الفيضان كل سنة كانت تنتج المحاصيل الوفيرة المنتظمة ، لقد كانت فى الحقيقة مصدرا للخبز لكل شعوب البحر الأبيض المتوسط . ولهذا حسدتها الأمم الأخرى ، وطمعت فيها الامبراطوريات المتعاقبة الفارسية واليونانية والرومانية .

السلوقيون : Seleucids

كان السلوقيون هم الذين حكموا سوريا بعد الاسكندر ، وبهذا صارت فلسطين فى وسط الدولتين : سوريا ومصر ، مطمعا لكل منهما تحاول كل قوة أن تستولى عليها . وقد نجح البطالة فى ذلك فى أول الأمر،

ولكن ما أن أتت سنة ٢٠٠ ق م . حتى أخذها منهم السلوقيون . أما اليهود أنفسهم فلم يجدوا فى حكام أى من الدولتين سوى جماعة من اليونانيين الذين يحاولون فرض نوع من الحياة الغريبة والمعقّنة عليهم .

التأثير الهليني :

وازاء هذ التيار الهليني الغريب انقسم اليهود على أنفسهم ، فكثير منهم رحبوا بالحضارة الهلينية ورأوا فيها كثيرا من العناصر التى تتوافق مع الحياة اليهودية ، انها المستقبل والأمر « الجديد » الذى يجب أن يعيشه الناس .

والى جانب ذلك لم يستطع يهود الشتات مقاومة الضغط الحضارى الذى يحيط بهم فى بلاد غربتهم . فمثلا كانت هناك جاليات يهودية فى أماكن كثيرة فى مصر ، فى الاسكندرية وبابيلون (مصر القديمة) وحتى فى أسوان حيث اكتشفت بقايا معبد يهودى . فعندما انتشرت الحضارة الهلينية لمدة ثلاثة قرون ، عرف اليهود الذين يسكنون تلك المناطق أن تيار هذه الحضارة سيجرفهم رغما عنهم .

ومع ذلك فقد حدث رد فعل عنيف من اليهود المحافظين ضد هذه الحضارة ، فاعتبروها نجاسة . وشددوا على التمسك بناموس موسى . وقد أطلق على هذه الجماعة اسم « الهاسيديم » أو « الأتقياء » . أما القادة الذين كان عليهم أن يتعاملوا مع السلوقيين ، فكانوا يميلون بالأكثر الى هذه الحضارة وخاصة رئيس الكهنة الذى كان يعتبر الحاكم الرمضى للمجتمع اليهودى ، وكان كثيرا ما يستسلم ليل الرأى العام الى الحضارة الهلينية .

انطيوخوس أبيفانس : Antiochus Epiphanes

بمجيء أنطيوخوس أبيفانس السلوقى الى الحكم فى سوريا (١٧٥ - ١٦٣ ق م) وصلت أزمة الهلينية فى اليهودية الى قمتها . فقد تأمر معه ياسون - رئيس الكهنة اليهودى ، الذى كان هلينيا متعصبا -

على أن يحولا أورشليم الى مدينة هلينية ويغيرا اسمها الى « أنطاكية »
مثل (أنطاكية سورية) .

وهذا بالطبع أشعل لهب غضب الهسيديم . وكان هناك كاهن آخر
اسمه مينلاوس دفع لابي فانس مبلغا أكبر من المال ليطرد ياسون من
مركزه ، وبلغ به الأمر أن سرق أواني الهيكل الذهبية ليدفع هذه الرشوة .
ولكن ياسون حاول أن يطرد مينلاوس بالقوة بينما كان أبي فانس مشغولا
فى حملته التى جردها على مصر ، ولكنه فشل فى ذلك .

فلما رجع أبي فانس مهزوما من مصر صب جام غضبه على كل
أورشليم ، فقتل منها من قتل ، ثم نجس الهيكل وحاول جهده أن يدفع اليهود
الى ترك عبادة آبائهم . وفى ديسمبر سنة ١٦٧ ق م ارتكب أعظم جريمة
تجديف فى نظر اليهود اذ بنى مذبحا للاله زيوس فى وسط الهيكل وهو
ما سماه دانيال « رجسة الخراب » (١١ : ٣١) .

ثم حرم على اليهود ممارسة عباداتهم مع اعدام كل من خالف ذلك،
بهذا أراد أن يوحد الشعب كله تحت حكمه .

الثورة المكابية :

كان من نتيجة هذا الظلم القاسى أن انفجر رد فعل مبالغ العنف بين
اليهود وخاصة الهسيديم . وقد بدأ الثورة وقادها كاهن اسمه متياس
Mathias له خمسة أبناء ، فسانده اليهود ، وانتشرت حركته حتى
أن يهوذا أحد أبناء الكاهن الخمسة استطاع فى سنة ١٦٤ ق م أن يهزم
السلوقيين ويستولى على الهيكل والمنطقة التى تحيط به (لكن لم يستول
على كل أورشليم) ، ثم بنى الهيكل والمذبح ودشنه بذبيحة للرب كما كان
من قبل . وصار اليهود يذكرون هذا التاريخ ويسموناه « عيد التجديد »
Hanukkah وقد أطلق على يهوذا لقب « المكابى » (أى المطرقة)
نظرا لبراعته العسكرية ، وسميت الثورة « بالثورة المكابية » .

وقد تمكن المكابيون من أن يعززوا سلطانهم وأن يحرزوا انتصارات
أخرى على السلوقيين مع أنهم لم يستطيعوا أن يحكموا فلسطين كلها .
نعم نالوا حريرتهم الدينية ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتحرروا بالكامل

سياسيا . فقد انهزم يهوذا المكابي عندما تحالف رئيس الكهنة اليسيماس ضده مع السلوقيين السوريين . وبعد عدة سنوات وضع السلوقيون يوناثان بن يهوذا فى رئاسة الكهنوت ، وتبع ذلك عدة سنوات من السلام والطمأنينة ، لأن يوناثان كان من القوة حتى أنه تحالف مع الرومان الذين بدأوا يهتمون بهذه المنطقة من العالم ، أى فلسطين . ولما خلفه سمعان أخوه سارت الأمور فى طريق التحسن والثبات ، اذ جمع سمعان هذا كل السلطة فى يده فصار قائد الجيوش والحاكم ورئيس الكهنة فى نفس الوقت . واعتبرت هذه الفترة قمة المجد الذى وصل اليه المكابيون (١٣٥ ق م) .

الهسيديم والصدوقيون :

من الأمور الغريبة أن أصبح المكابيون الذين كانوا يقاومون التيار الهليني ، أكثر ميلا وقربا منه ، نظرا لبقائهم مدة طويلة فى الحكم ولعاملاتهم المستمرة مع السلوقيين . أما الصدوقيون الذين ركزوا سلطانهم فى الهيكل وعبادته فقد اعتبروا هلينيين . ولكن الهسيديم ، الذين عرفوا فيما بعد باسم الفريسيين ، فقد استمروا كالجناح المحافظ الذى تزايدت قوته ، ولهذا السبب استمر الصراع العنيف بين هذين الجناحين أو الحزبين فى اليهودية : الفريسيين والصدوقيين .

بومبى والحكم الرومانى :

فى الربع الأول من القرن الأول قبل الميلاد بدأ زحف الرومان بالتدريج الى تلك المنطقة . فقد انتصر بومبى القائد الرومانى العظيم على السلوقيين ، ثم تحرك فى اتجاه اورشليم بعد ذلك وهزم أرسطوبولس الثانى وقتل الكهنة وهم يصلون ، ثم وقف بنفسه فى قدس أقداس الهيكل وكان ذلك لطمة قاسية لليهود . وهكذا بدأ الحكم الرومانى لفلسطين فى سنة ٦٣ ق م ، ولكنه لم يكن يتميز بالسلام والهدوء بل بالقلائل والثورات التى قام بها اليهود وغيرهم من شعوب المنطقة ، مما أخذ من الدولة الرومانية سنوات عديدة حتى تثبتت أقدامها فيها .

أنتيبتر : Antipater

وهزم بومبى أمام قيصر روما سنة ٤٩ ق م ونجح أنتيبتر فى كسب

ود القيصر ، الذى منح اليهود حريتهم الدينية وبنى الهيكل مرة أخرى .
ومع ذلك فقد أبغض اليهود أنتيباتر لأنه كان أدوميا (١) ، وكرهوا الاحتلال
الرومانى بسبب الضرائب الثقيلة التى فرضها عليهم . وإلى جانب ذلك
فقد ساد الاضطراب جميع نواحي الامبراطورية عندما خلف أنطونيوس
القيصر فى الحكم وبدأ البارثينيون يهددون الامبراطورية من جهة الشرق .

حكم هيرودس الكبير : Herod

فى وسط هذه الدوامة بدأ هيرودس ابن أنتيباتر يشق طريقه الى
مركز القوة مستخدما فى ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة
كالشجاعة والتهور ، التآمر والعزيمة الهائلة ، وأخيرا كسب صداقة
الرومان وتمكن أن يصل الى الملك . وفى سنة ٣٧ صارت المملكة كلها فى
قبضة يده ، وهكذا بدأ عهد ذلك الملك ، الذى كان له الأثر الكبير فى حياة
المسيح والمسيحية ، وأصبح هيرودس الكبير الذى عرف كيف يستفيد من
هذا السلطان المطلق يفعل كما يفعل أى دكتاتور آخر فى التاريخ : لا أخلاق
ولا مبادئ ، وامتلاؤه حكمه بالمؤامرات ، والاتهامات والسجون مما يضعه
فى صف النازية أو الفاشية . تزوج عشر مرات ، ولم يفرق بين دين ودين ،
فتسامح مع العبادة الوثنية ، ولم يحاول أن يتدخل فى شئون اليهودية
الدينية طالما دفعوا ما عليهم من الضرائب ، واختار رئيس الكهنة كما فعل
السلوقيون من قبل ولم يدخل فى صراع مع الفريسيين مع أنه ناصر
الصدوقيين .

مشروعات هيرودس :

كان هيرودس ينفق معظم الضرائب التى يحصل عليها فى بناء
القصور والأبراج والحصون وخصوصا الهيكل اليهودى ، مع أن اليهود
لم يظهروا له أى امتنان على ذلك .
وهناك بقايا لهذه المباني يمكن أن يراها الانسان فى عصرنا الحاضر .

(١) تقع أدومية غرب البحر الميت وكانت تسمى قبلا أدوم . وكان الأدوميون
شعبا منفصلا دائم الحرب مع جيرانهم الى أن أخضعهم المكابيون فاختلطوا باليهود .

موت هيرودس :

مات هيرودس سنة ٤ ق م بعد ما أصيب بمرض عضال . ويمكن أن يقال عنه أنه أوجد نوعا من السلام والثبات الاجتماعيين رغم كل مؤامراته وقساوته . ويذكر المؤرخون أنه عندما شعر بقرب موته أمر فجمعوا كل رؤساء اليهود الذين فى أريحا ووضعوهم فى استاد الملاعب لكى يعدموا عند موته ، وبذلك يضمن أن هناك حزنا عاما يوم أن يموت ، لأنه عرف أنه لم يبق من يمكن أن يحزن عليه ساعة موته ، ولكن رحمة الله تداركت هؤلاء الرؤساء فأطلقتهم بعض السلطات قبل موت هيرودس بقليل .

بعد أن مات هيرودس حدثت فترة من الاضطراب السياسى (١) ، فقد فشل مجموعة من الحكام الأدوميين أن يسيروا أمر الدولة ، وقد كان آخرهم ارخيلاوس الذى خلعه الرومان فى سنة ٦ ميلادية فصارت اليهودية والسامرة وأدوم تحت سيطرة الولاة الرومانيين الذين كانوا يختارون رؤساء الكهنة وكان بيلاطس واحدا منهم وهو الذى أجرى محاكمة المسيح .

(١) كان هيرودس الذى يظهر فى لوقا ٣ : ١ ، ١٣ : ٣١ - ٣٣ ، ٢٣ : ٦ - ١٢ هو هيرودس أنتياس بن هيرودس الكبير ، وقد حاول أن يرث المملكة ولقب « ملك » ، عن أبيه ولكن الرومانيين خذلوه وسموه « ملك بيرييه والجليل » وقد كان فى اورشليم حين صلب المسيح .

Recommended English Readings

- 1) Filson Floyd V., **New Testament History**, p.p. 1 - 33.
- 2) Lietzmann Hans, **A History of the Early Church**,
- 3) Frend, W. J. C., **The Early Church**, p. p. 26 - 33.
- 4) Foster, John, **The First Advance (Church History I)**
p. p. 13 - 17.

٢ - الحالة الدينية

الوحدة اليهودية :

كان من المنتظر بعد كل هذه الاضطرابات الكثيرة والضغط الخارجي على اليهود ، أن تضعف « يهوديتهم » أو تزول في تلك الفترة العصيبة ، ولكن الذي حدث هو العكس . فعندما واجهوا التحدي الروماني اليوناني الرهيب والديانة الوثنية لم يستسلموا ، بل ظلت الجموع اليهودية متمسكة ومتعصبة لتقاليد آبائهم وللناموس ولطرق حياتهم .

يهود الشتات :

ولكن هذه الوحدة وهذا التماسك اليهودي لم يمنعاهم من العلاقات الخارجية ، فقد برهنوا أمام كل موقف أنهم شعب مرن يستطيع أن يتعامل مع كل حضارة مخالفة لديانته بكيفية مدهشة . ربما تعلموا ذلك من ماضيهم وتاريخهم في السبي والاحتلال الأجنبي ، مما جعلهم يتمشون مع كل موقف ويتعاملون معه دون أن يفرطوا في يهوديتهم . وقد اتضح هذا بصورة عجيبة في ظروف يهود الشتات الذين انتشروا كجاليات مستقلة في بلدان البحر الأبيض المتوسط . وقد بدأ هذا الشتات تحت حكم الآشوريين والبابليين ، واستمر في أثناء حكم البطالسة والرومان حتى أنه في أيام المسيح ، كان عدد يهود الشتات ستة أضعاف اليهود الذين يعيشون في فلسطين وكانوا يحافظون على طرق حياتهم المتميزة ، ولكنهم كانوا أيضا مواطنين صالحين للبلاد التي عاشوا فيها وعملوا تجارا أو حرفيين ، وكان الحكام وأصحاب البلاد يحترمونهم . (١)

(١) تدل السجلات القديمة أن العساكر اليهود خدموا في الجيش المصري ، وكان يعيش اليهود في الاسكندرية عندما أسسها الاسكندر وقد وجدت في أسوان بقايا الهيكل اليهودي (وليس مجمعا) ويرجع تاريخه الى القرن السابع أو السادس قبل المسيح . وهذا يدل على أن اليهود هناك ، تركوا أية فكرة عن الرجوع الى اورشليم لتقديم الذبائح هناك .

الدخلاء والمتعاطفون : (Proselytes and adherents)

كان المجمع مركزا لحياة اليهود الدينية والاجتماعية ولكن يهود ذلك العصر كانت لديهم روح الارسالية والتبشير مما جذب كثيرين من غير اليهود الى عبادتهم وحياتهم . بعضهم صار يهوديا بالكامل يحفظ الناموس ولكن البعض الآخر كانوا متعاطفين فقط ، اذ كانوا يكتفون بحضور المجمع وبعض الأنشطة القليلة . ومن هذين النوعين من الناس : الدخلاء والمتعاطفين جذبت المسيحية الكثيرين الى عضويتها .

تطعيم اليهودية بالهلينية :

وفى نفس الوقت يجب أن نلاحظ المميز الثانى ليهود الشتات وهو تطعيم اليهودية بالهلينية كاستعمال اللغة والحضارة والفلسفة اليونانية فى المجتمع اليهودى . وقد بلغ بهم الأمر أنهم نسوا العبرية ، لغتهم الأصلية ، لأنهم اضطروا أن يتكلموا اليونانية باستمرار لكونها اللغة العالمية فى ذلك العصر ، ومع ذلك فقد استفاد اليهود من تلك الفرصة ، فترجموا كتبهم المقدسة (التوراة) الى اللغة اليونانية حتى يمكنهم أن يتعلموا عناصر ايمانهم الموروث .

وقد يسرت هذه الترجمة جذب الدخلاء الذين لا يعرفون العبرية الى اليهودية ، وقد أطلق على هذه الترجمة الشهيرة لقب « السبعينية » وعلامتها « LXX » ويقول التقليد انها ترجمت فى ٧٢ يوما بواسطة ٧٢ عالما اطاعة لأمر بطليموس الثانى « فيلادلفيوس » (١) . والحقيقة ان الترجمة قد نمت تدريجيا على مر السنين بواسطة مترجمين غير معروفين . (٢)

فيلو اليهودى : (Philo Judaeus)

ويعتبر فيلو اليهودى (٢٠ ق م - ٥٠ م) الفيلسوف الاسكندرى من

(١) قيل ان العلماء الـ ٧٢ اشتغلوا كل على حدة فى جزيرة فاروس . وعندما اكملت الترجمات قورنت فوجدت متطابقة تماما .

(٢) أما اليهود الذين يتكلمون الأرامية والساكنون فى فلسطين فقد كانت لهم أيضا ترجماتهم « الترجوم » وتفسيراتهم الأرامية

أعظم اليهود الذين تثقفوا بالثقافة اليونانية • وكانت أسرته من أسر الكهنوت ، وتعلم إيمانه اليهودى بواسطة السبعينية • ومن أهم مآثر هذا الفيلسوف هو أنه ربط أفكار العهد القديم بمفاهيم الفلسفة اليونانية بكيفية توافق روح ذلك العصر الذى عاش فيه • ولكى يصل الى هذا الربط فقد استخدم التفسير المجازى حتى يوفق بين مفهوم « اللوغوص » اليونانى الذى ينساب من الله نفسه ، وبين تعاليم الناموس والأنبياء التى تخص شعب العهد « اسرائيل » ولعله فى ذلك كان أبا لأولئك اللاهوتيين المسيحيين الذين ربطوا بين الأفكار العبرية واليونانية فى العصور المسيحية اللاحقة •

اليهودية ومقارنتها بالديانات الوثنية :

لا يحتاج الأمر الى التنويه بأن اليهودية كانت تختلف عن كل الديانات الأخرى فى الامبراطورية الرومانية • فقد تشابهت الديانات الوثنية كثيرا فى العقيدة والممارسات حتى وان اختلفت أسماء آلهتها فقد كانت تملؤها الصور والخرافات والسحر والعمل على ارضاء الآلهة التى كانت تملك القوة ، ولكنها كانت أحط أخلاقا من الذين يعبدونها • أما اله اليهود فقد كان الها واحدا ولا يوجد اله سواه : اله القوة وفى نفس الوقت اله العدل والبر والمحبة • هذا الاله الواحد اختار شعبا خاصا – اليهود – ليكونوا الواسطة التى يبارك بها العالم • دخل معهم فى عهد وأعطاهم الناموس • انهم شعب الكتاب لأن هذه الكتب المقدسة هى المركز الحقيقى لحياتهم وعبادتهم والتى جعلتهم متميزين فى كل شيء • فلا يمكن أن تضارع ديانتهم ديانة أخرى فى ذلك العصر •

٣ - منظمات الديانة اليهودية

ولكن ما هى منظمات اليهودية الرئيسية ؟ انها ثلاثة : المنزل ، الهيكل ، المجمع •

المنزل اليهودى :

يعتبر المنزل اليهودى المركز الحقيقى لعدة ممارسات دينية • ففيه

يختن الذكور اليهود ، وفيه يعيدون عيد الفصح فتجتمع الأسرة كلها لتذكر خلاص الأمة من العبودية • وفيه يعلم كل أب يهودى أولاده الايمان •

الهيكل فى اورشليم :

بنى الهيكل العظيم فى اورشليم فى عهد سليمان الملك ، ولكنه هدم عند السبى ، ولكن بناه زربابل بعد ذلك • هذا الهيكل الثانى اعيد بناؤه بكيفية اعظم على يدى هيرودس فى سنة ٢١ ق م ، وكما يقول انجيل يوحنا (٢ : ٢٠) استمر بناؤه ٤٦ سنة حتى كمل • وكان يحتوى على دار يجتمع فيها الأمم لأنهم كانوا ممنوعين من الدخول الى القدس • وكان الهيكل مركزا لكل الذبائح اليهودية ، ولذلك كان الكهنة هم العنصر المسيطر فيه ، ولهذا السبب كان نفوذهم عظيما فى الأمة • ولعل رئيس الكهنة - وهو الوحيد الذى يستطيع أن يدخل الى قدس الأقداس مرة فى السنة - هو أكثرهم نفوذا وأعظمهم شأنًا • فى هذا الهيكل كانت الذبائح تقدم والممارسات تسير وذلك من أجل كل يهود العالم ، وكان مزارا للحجاج اليهود الأتقياء من كل أركان العالم ، يأتون اليه ويدفعون له الضرائب • وفى الهيكل أيضا كان ينعقد مجمع السنهدريم • ومع ذلك فقد كان الهيكل ، بكل أسف ، مركزا للفساد السياسى والمالى ، مما جعل السيد يصب غضبه - وله الحق فى ذلك - على هؤلاء الذين جعلوا « بيت الآب » مغارة لصوص •

المجمع :

أما المنظمة الثالثة ، التى تعتبر من بعض النواحي أهمها جميعا فهى المجمع • وقد ظهر المجمع متأخرا فى حياة الأمة اليهودية كضرورة حتمتها ظروف السبى • فعندما وجد اليهود أنفسهم بعيدين عن اورشليم ، حيث الهيكل مركز عبادتهم ، استبدلوه بهذا المجمع يقيمون فيه أينما كانوا ، سواء فى السبى أو الشتات ، العبادة وتعليم الناموس • لم يستطع المجمع أن يحل محل الهيكل ، فلم يكن فيه مذبح ولا قدس أقداس ، ولكن كانت الكتب المقدسة تقرأ وتفسر هناك ، وفيه تعمق الناس فى ناموس موسى وناقشوا مشكلاتهم الاجتماعية •

كان المجمع أساسا منظمة علمانية ولم يكن من الضرورة حضور كاهن أو « رباي » (معلم) فى اجتماعاته ومع ذلك ، لو وجد أحد من هؤلاء ، كانوا يطلبون منه أن يقرأ الكتاب المقدس ويفسره ، كما حدث مع يسوع عندما زار الناصرة (لوقا ٤ : ١٦ - ١٨) . وكان لكل مجمع رئيس أو مشرف يعاونه عدد من المساعدين فى تأدية خدمة العبادة . وكانت العبادة ، التى هى الوظيفة الرئيسية لهذه المنظمة ، تتكون من الصلاة وقراءة الكتب المقدسة وتفسيرها . أما العمل الثانى وهو لا يرقى الى أهمية العبادة ، فهو تعليم الناس وخاصة الأطفال . ويلوح أن كل مجمع كان يحتوى على مكتبة للدراسات الدينية تفتح لكل من يحب القراءة . وكان التعليم ينصب على الناموس وتفسيراته . وكانت هناك بعض الخدمات الاجتماعية والدنيوية مثل البت فى القضايا القانونية ، وتوقيع العقوبات (متى ١٠ : ١٧ ، ٢٣ : ٣٤) والاجتماعات السياسية ، والاعلانات العامة ، ومن المحتمل أيضا أنها كانت تستخدم كفنادق يبيت فيها اليهود القادمين من بلاد أخرى .

ولم يتأكد بعد ما يقال عن أورشليم من أنها كانت تحتوى على ٤٨٠ مجمعا ، ومما لا شك فيه ان وجود عدد كبير من المجمع فى هذه المدينة التى كانت تفتخر بوجود الهيكل فيها يدل على أهمية المجمع للحياة اليهودية . ومن المعروف أن مجمعا بنى فى الهيكل لكى يجتمع فيه القادة العلمانيون للاعداد للخدمة فى الهيكل والمساعدة فيها .

٤ - الأحزاب اليهودية

لندرس الآن شيئا عن الجماعات والأحزاب اليهودية الكبرى فى تلك الفترة . كان فى اليهودية أقسام وأحزاب عديدة ولكنها لم تكن على غرار الطوائف المسيحية فى أيامنا الحاضرة ، والى جانب ذلك لم تجتذب هذه الأحزاب عامة الشعب ولكنها كانت تقتصر على جماعة مختارة محددة من الناس .

الصدوقيون :

كان الصدوقيون حزب الكهنة والمسؤولين عن العبادة فى الهيكل . وكانوا كذلك طبقة ارسقراطية تأثرت بالحياة الهلينية ، وكونوا صلات قوية مع الرومان . أما من الناحية الفكرية فقد كانوا محافظين وعلى أشد الاختلاف مع الفريسيين من ناحية التقليد الشفوى الذى رفضوه ولم يتمسكوا الا بأسفار موسى الخمسة تمسكا حرفيا . ولم يكن هذا فقط هو كل اختلافهم مع الفريسيين ، بل اختلفوا فى أمور أخرى كما هو واضح فى سفر الأعمال (٢٣ : ٨) اذ يقول « لأن الصدوقيين يقولون انه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح . وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك » . ولقد ظهر دور الصدوقيين واضحا فى محاكمة المسيح . فطالما كان يعظ فى أجزاء أخرى من البلاد بعيدا عن اورشليم لم يأبهوا به ، ولكنه عندما جاء الى هذه المدينة ودخلها الدخول الانتصارى ، وادان ادارتهم للهيكل ، وذلك بطرده التجار والصيارف من الهيكل ، صار بذلك خطرا كبيرا على نفوذهم وقوتهم، فعملوا بكل قوة على تسليمه ومحاكمته وقتله .

الفريسيون :

اشتق اسم « الفريسيين » من الكلمة العبرية « ب ر ش » أى « عزل » . لم يكونوا من الطبقة الارستقراطية مثل الصدوقيين ، ولكنهم كانوا يحيون حياة التقشف ، مكرسين أنفسهم لدراسة وتفسير الناموس . وكانوا فى بعض النواحي أكثر تحسرا من الصدوقيين ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الناموس ينبغى أن يتطور ليوافق روح العصر ويتمشى مع الظروف الاجتماعية المتغيرة وذلك بواسطة تقليد شفوى . ولكن هذه التقاليد انغمست بالأكثر فى تفسيرات دقيقة وتفصيل صغيرة للناموس . فمثلا « هل يأكل اليهودى بيضة باضتها فرخة فى يوم السبت المقدس وهى لا تعرف الناموس ؟ هذه هى تقاليد الشيوخ التى هاجمها المسيح » (مرقس ٧ : ٤) . أما بالنسبة للفريسيين أنفسهم فقد كان لهذا التقليد عندهم نفس سلطان الناموس المكتوب .

ولقد كان للفريسيين قوتهم السياسية ، ويحتلون عددا كبيرا من

مقاعد السنهدريم ، ولهم تأثيرهم فى المجمع نظرا لدورهم التعليمى .

الكتبة :

يجد قارئ الانجيل أن الكتبة والفريسيين يذكرون جنبا الى جنب . وفى الحقيقة كان الكثيرون من الكتبة من الفريسيين ولكن لم يكونوا كلهم كذلك ، بل كانوا يعملون سويا . وكما يدل عليهم اسمهم ، كانوا يسجلون الناموس ويفسرونه كما كان يفعل الفريسيون ، ولكنهم لم يحتلوا مدرسة لاهوتية مستقلة ، بل كان كل تأثيرهم من خلال المجمع حيث كان يجتمع عامة الشعب للعبادة وتعلم الناموس الذى كان المرجع لهم دينيا ومدنيا أيضا .

الغيورون :

كان الغيورون جماعة تجمع بين الدين والسياسة . ويقال انهم ظهوروا وقت التعداد الذى جرى سنة ٦ م معترضين عليه وعلى النتيجة المباشرة له وهى الضرائب . وفى الكتاب المقدس يظهر الغيورون منذ القدم فمنهم شمعون ولاوى (تكوين ٣٤ : ٤ - ٦) وفيנحاس (عدد ٢٥ : ١-٨) وكان هناك غيورون فى اثناء الحكم المكابى وهم - بدون شك - أجداد الذين ظهوروا ابان العصر المسيحى . ومعنى الاسم : أن « تكون غيورا » . فالغيور هو الشخص الذى يسلم نفسه لله لى يكون الوسيلة التى يظهر بها غضبه الغادل ودينونته ضد الأصنام والضلالة وكسر الناموس . ولقد كان هدف الغيورين فى أيام المسيح هو الثورة لكسر نير الرومان . أما يسوع ، فلم يظهر أى دليل علمى ، يدل على أنه كان واحدا منهم .

الأسسينيون :

أما الحزب الأخير الذى ينبغى أن يذكر فى هذه الدراسة فهو حزب الاسيينيين وهو يتكون من جماعة متصوفة متطرفة فى تقواها ، يرجع أصلهم غالبا الى الهسيديم فى أيام المكابيين . لقد تركوا المدن وأسسوا لأنفسهم مستوطنات رهبانية يسودها نظام فى غاية القسوة ، ولقد كشفت مخطوطات « القمران » التى اكتشفت حديثا قرب الشاطئ الشمالى الغربى للبحر الميت عن أشياء كثيرة وقيمة عنهم لم تكن معروفة من قبل . فقد

ظهر أنه ربما كان لديهم كتب مقدسة أخرى الى جانب التوراة ، وكانوا يسمون أنفسهم أبناء النور وحكموا على الآخرين أنهم أبناء الظلمة .
وكانوا ينتظرون مسياوين أحدهما كاهن والثانى ملك .

ولقد زعم بعضهم أن يسوع كان واحدا منهم ولكن هذا الرأى لم يجد قبولا عند العلماء ، أما يوحنا المعمدان فربما كان أقرب اليهم ، مع أن حياته التى نعرفها لا تتفق كثيرا مع حياة الاسينيين .

انتظار المسيا :

ومما سبق يمكن القول بأن ذلك العصر كان لليهود عصر قلق وتذمر وانتظار . ولقد دفعت هذه الحالة القاسية من الضغط السياسى والارتياح الدينى ، كل يهودى الى الصلاة والرجاء لأجل عصر أفضل جديد ، فلا غرابة اذا فى أنه عندما جاء يوحنا المعمدان يكرز « بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » ومقتبسا اشعيا : « صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب » تدفق الناس اليه من كل نواحي فلسطين ليعتمدوا فى الأردن على رجاء مجيء الملك الآتى . فالفقراء الأتقياء والناس البسطاء الذين لم يهتموا كثيرا بصراعات الصدوقيين والفريسيين ، هم الذين تطلعوا برغبة عارمة لمجيء المسيا . وقد جاء أخيرا منهم ولهم .

Recommended English Readings

DAVIES J. G. The Early Christian Church, PP. 1 - 6.

FILSON ; Floyd V. A New Testament History, PP. 34 - 61.

LIETZMANN, Hans A History of the Early Church, PP.24-103

**LATOURETTE, K. Scott A History of Christianity (abridged)
PP. 10 - 19.**

**WALTER, Williston A History of the Christian Church,
PP. 12 - 17.**

**The Interpreter's Dictionary of the Bible, especially articles on
Synagogue, Temple, Sadducees, Pharisees, Scribes, zealots,
Essenes.**

ارسالية المسيح

جذور الكنيسة :

لا بد أن يبدأ تاريخ الكنيسة بارسالية المسيح ، لأنه مؤسس الكنيسة ومركز كل تاريخها .

وقد يقال عن الكنيسة انها تبدأ من بدء الخليقة نفسها ، لأنها فى معناها الأساسى هى جماعة من الذين انفصلوا عن العالم ليكونوا شعبا لله . وهذا القول فيه بعض الصواب لأن الكنيسة كحقيقة حية كانت موجودة فى أيام الآباء والقضاة والملوك والأنبياء .

ففى عظة بطرس (أعمال ٢) يوم الخمسين تظهر اشارات الى الأنبياء : يوشع ، والآباء وداود . وفى عظة اسطفانوس (أعمال ٧) اشارة الى « الكنيسة فى البرية » وخيمة الشهادة فى البرية ، مما يؤكد اهتمام الرسل بأسلاف الكنيسة واحساسهم بأن ما عمله الله فى المسيح يسوع هو من خطة أزلية غير مرتبطة بالزمان . ولكن اذ نأخذ عناصر الزمان والمكان فى الحسبان ينبغى أن نتبع ما اصطلح الناس عليه ، وهو ابتداء قصة الكنيسة بحياة من أسسها واضعين نصب أعيننا الماضى السحيق حيث تكمن جذور الكنيسة .

المسيح رأس الكنيسة :

بالطبع لا نستطيع أن ندرس دراسة تفصيلية حياة المسيح وتعاليمه فى كتاب قصد به أن يكون تاريخا للكنيسة . وليس فى المسيحية ما أمكن درسه دراسة عميقة مثل حياة المسيح . ومن الناحية الأخرى ما كان

يمكن أن يكون هناك كنيسة بدون يسوع المسيح • فهو أساس وجودها ،
هو رأسها وهي جسده • فان كان لها حياة فهي فيه ومنه وبواسطته •
وهو الشخص المركزى لكل المسيحية • وهذا ما يعترف ويتمسك به كل
مسيحي مهما كانت طائفته • ولهذا السبب فلن ننسى حياة يسوع الأرضية
وخدمته لأنها نقطة البدء والأساس فى تاريخ كنيسته •

ولكن وباختصار شديد ، سنحاول اكتشاف العناصر التى تكمن فى
أعمال وأقوال يسوع التى صارت أساس الكنيسة ، علما بأن كل ما قاله
وعمله كان ذا أهمية عظمى عند المسيحيين ، ولكن اهتمامنا هنا سيوجه
الى توضيح تلك العناصر القوية والمؤثرة التى حلت أتباعه القلائل من
الربط التى كانت تربطهم بيهوديتهم وبأجدادهم ، ودفعتهم الى اقامة جماعة
فريدة لم يسبق لها مثيل سميت فيما بعد : « الكنيسة المسيحية » • وبالرغم
من كل ضعفاتها البشرية فانها نمت واتسعت وخرجت عن تخوم فلسطين ،
وامتدت الى خارج حدود الديانة اليهودية نفسها •

الاشارات التى وردت عن المسيح خارج الكتاب المقدس :

تعتبر الأناجيل ، بلا شك ، مصدرنا الأساسى عن يسوع ، اذ لم يكن
معروفا للمؤرخين الآخرين ، وحتى لو عرفوه فانه بالنسبة لهم ، لم يكن
شيئا يذكر الى جانب القادة والقيصرة الرومانيين • ورغم ذلك فقد أصبح
ذلك الرجل ، الذى لم يكتب كتابا ولم يؤسس مدرسة ولم يقدر جيشا ، ولم
تزد حياته العامة عن ثلاث سنوات ، ولم يزد أتباعه عن اثنى عشر رجلا
قليلى الشأن ، هذا الرجل صار النقطة الفاصلة والحاسمة فى التاريخ •
لم يظهر اسم يسوع فى أى كتاب من كتب التاريخ العالمى حتى ٩٥ م ،
عندما أشار المؤرخ اليهودى يوسيفوس اليه مرتين • ويقول العلماء ان
الإشارة الثانية ربما كانت اضافة متأخرة بواسطة كاتب مسيحي • أما
كتب الربيين فقد احتوت على بعض الاشارات القليلة العابرة وكلها مملوءة
بالعداء المستحكم • وفى القرن الثانى الميلادى وردت فى بعض كتابات
الكتاب الرومانيين من أمثال تاسيتوس (Tacitus) وسوتونيس
(Suetonius) ثم بلىنى (Pliny) اشارات عابرة عن شخص اسمه

(كريستوس) ولكنهم لم يزدوا عن مجرد ذكر اسم المسيح ولم يضيفوا شيئاً للقصة الوافية الكاملة فى الأناجيل .

خدمة يسوع لكل الناس :

من الصعوبة بمكان أن نحدد عنصراً بذاته فى خدمة يسوع كان له الأثر الأكبر فى تكوين الكنيسة . لقد اختلفت عن القادة الدينيين فى أثره العام فى الناس ، فى دعوته بالقول والعمل لجماعة بسيطة ، فى اختلاطه بجماهير لم يكن غيره يهتم بها ، فى اختياره للحقول والقرى للتبشير برسالاته بعيداً عن أورشليم المركز الرئيسى للقوة الدينية اليهودية .

فلكى تبني الكنيسة كان يجب أن يكون ذلك على قاعدة عريضة من كل طبقات المجتمع وهكذا فعل يسوع الذى عاش للآخرين ولكل الناس .

تدريب الاثنى عشر :

وكانت الجماعة الخاصة التى صارت أقرب الناس اليه جماعة عادية من كل الوجوه ، ضعيفة أمام الأزمات ، ولم يكن لأى انسان مهما كان خياله أن يرى فيهم أولئك القديسين والأبطال كما صاروا فيما بعد ، ولكنهم كانوا مع يسوع . لقد تركوا عائلاتهم وأعمالهم ليتبعوه . ولم يعرفوا من هو الا بعد مدة طويلة فى صحبته ، وحتى رأوه على جبل التجلى لم يكونوا يظنونه سوى واحد من الأنبياء . أما الهزيمة المروعة التى ظنوها فى تسليمه ومحاكمته وصلبه ، فكانت شديدة الأثر عليهم فأخافتهم وأربكتهم . ولكنهم عندما اكتشفوا قيامته وعرفوا معناها العميق ، وعندما استوعبوا تعاليمه عن الهدف الذى جاء من أجله ، لأجلهم ولأجل العالم ، عندئذ اختبروا وعرفوا تلك الشركة الأساسية الخلاقة التى صارت الصفة الأساسية للكنيسة التى يجب أن تحفظها فى كل العالم والى كل الدهور .

الصلب والقيامة :

الحقيقة التى لا تحتاج الى زيادة تأكيد لبيان أهميتها القصوى ، هى أن أهم ما عمله يسوع ، واهتمت الأناجيل جداً بتسجيله ، هو بذله نفسه لأجل خلاص البشرية . ولقد عاشت تلك الحوادث التى سبقت الصلب حية

فى ذهن الكنيسة الى هذا اليوم ، وهل تنسى الكنيسة الدخول الانتصارى، اقامة لعازر من الموت ، العشاء الأخير ، جهاده فى بستان جثسيماني والتسليم والمحاكمة ؟ وكان للعشاء الربانى أهمية خاصة فلقد مارست الكنيسة منذ أيامها الأولى كذكرى لآلامه وموته • ثم جاءت القيامة التى لا تقل عن كل ذلك أهمية والتى لولاها ما كان يمكن أن يكون للكنيسة وجود بالمرّة ، فهى التى جعلت معنى لموته ولكل شىء فعل وقال قبل ذلك ، فعندما قام السيد من الأموات عرف أتباعه من هو ومن هم وماذا يجب أن يفعلوا • ومع أنهم لم يتكلموا كثيرا عن الكنيسة كمنشأة ، ولكنهم أصبحوا هم هذه الكنيسة فى قوة الرب المقام من بين الأموات •

ناموس المحبة :

ينبغى أن نلاحظ هنا أيضا الأهمية البالغة لكراسة يسوع وتعاليمه فقد تكلم كما لم يتكلم انسان غيره • وهو الذى أعاد تفسير ناموس موسى مركزا على الروح لا الحرف ، حتى أصبح وكأنه شىء جديد • انه لم ينكر الناموس القضائى الذى جاء به موسى ، ولكنه ذهب الى أبعد من ذلك ليظهر أن البر الحقيقى يكمن فى التوبة والتواضع والاتكال على نعمة الله (قارن صلاة الفريسي والعشار فى لوقا ١٨ : ٩ - ١٤) • فهو لم يتطلب اصلاحا فى السلوك • بل تغييرا فى الحياة ، ولذلك نبر على الوصيتين « تحب الرب الهك ••• وقريبك كنفسك » اللتين كانتا جزءا من المفهوم الدينى اليهودى ولكنهما فى الحياة العملية ، دفنتا تحت أكوام من التفاصيل اللانهائية للنواميس والتقاليد الفريسية •

ملكوت الله :

ومن أهم تعاليم يسوع أيضا تعليمه عن ملكوت الله ، وحياة الفرح والكفاية فى هذا الملكوت • وكان مفهوم يسوع للملكوت أنه حاضر الآن وفى نفس الوقت سيأتى فى المستقبل • لم يكن الملكوت فى تعاليمه مرادفا للكنيسة ، ولكنه تكلم عنه بمعنى أنه الحالة التى تتملك العقل والقلب والتى تتحقق - لحد ما - فى العصر الحاضر ثم تتحقق فى كمالها المطلق فى المستقبل الذى لم يحدد بعد ، عندما يحققها الله بحسب ارادته • وكان أسلوب يسوع فى الكلام عن الملكوت غامضا ومتصديا ولكنه فى نفس

الوقت يعطى الرجاء والرضا • ومع أن الكنيسة ليست مرادفة للملكوت .
الا أن وعد الملكوت ملاً للكنيسة بالثقة واليقين فى أحلك الظروف • وتظهر
الكنيسة فى أعظم انتصاراتها فى رؤيا ٢١ ٠٠ أورشليم الجديدة نازلة من
فوق من السماء مزينة كعروس لرجلها ٠٠٠ هذا هو عمل الله لا عمل
انسان •

يهودية يسوع :

وهناك عنصر آخر فى حياة يسوع يميزه عن الناس ، هو رفضه
القوى وانتقاداته الحادة لنوعية القيادة الدينية لليهود • كان يسوع
يهوديا ، يحترم ناموس موسى وعادات الناس ، ويحافظ على المواسم
والأعياد ، عيد عيد الفصح وحضر العبادة فى المجمع والهيكل • وكان الناس
ينادونه باللقب الجليل « ربى » أو يا معلم • ولكنه فى نفس الوقت قال
وعمل أشياء كانت قذى فى أعين قادة اليهود الأتقياء • لم يكن زاهدا
متقشفا • • جاء يأكل ويشرب • • اختلط بعامة الناس وخاصة المنبوذين
كالسامريين والعشارين والخطاة والزواني ، وأصعب من هذا كله ، نسب
لنفسه سلطان الله نفسه ، فغفر الخطايا ، وكان يبدأ خطابه بالقول « وأما
أنا فأقول لكم ٠٠٠ » بدلا من أن يقول العبارة التقليدية :
« هكذا قال الرب » • وأخيرا أخذ على نفسه أن يتم عمل المسيا المنتظر بل
وضع نفسه للموت حتى يتم عمل تلك الوظيفة • • أشياء لم يكن اليهود
مستعدين بتاتا أن يتقبلوها أو يتحملوها •

استقلالية يسوع :

من هذا يتضح أن يسوع كانت له طريقته الخاصة فى كل شيء ،
مستقلا تماما عن أى تأثير خارجى • ورفض رفضا باتا أن يتوافق مع
الأحزاب الكبرى ، فلم ينعزل مع الأسينيين ولا أن يقوم بثورته مع
الغيورين ، وأظهر سخطه على الكهنة والصدوقيين وطرقهم • وهاجم الكتبة
والفريسيين علنا واتهمهم بأنهم مراؤون وقادة عميان وقبور مبيضة •
وبالاختصار فقد رفض يسوع بكيفية حاسمة أن يربط نفسه بالأحزاب

الرئيسية ، حتى ان الجماعة أو الكنيسة التي كان عليها أن تحمل شهادته ورسالته ، رفضت وطردت من الحياة اليهودية كما فعلوا مع سيدها .

يسوع وتكوين الكنيسة :

ويمكن مما سبق أن نستنتج من الأسباب السابقة أن ظهور الكنيسة المسيحية كان ضرورة حتمية . فالآثار التي ترتبت على حياة يسوع وموته وقيامته أظهرت بكل جلاء أنه لا بد من ظهور منظمة تستمر وتبقى . ومع ذلك فلم يذكر يسوع تفاصيل بناء وإدارة وممارسات الكنيسة المقبلة ، والعشاء الرباني كان الممارسة الوحيدة التي رسمها . وكانت وصيته الأخيرة لتلاميذه أن « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتم به » (متى ٢٨ : ١٦ - ٢٠) هي البرنامج المتسع للتبشير وضم المسيحيين في جماعة المؤمنين ، وتعليمهم في الايمان . وظهر اهتمام يسوع الواضح بالكنيسة ووحدةها - في سنواتها المقبلة المستمرة - في صلاته الكهنوتية (يوحنا ١٧) . وقد مارس يسوع نفسه وشجع بعض الممارسات ، التي صارت ممارسات الكنيسة نفسها ، مثل الصلاة والصوم واعطاء الصدقة .

اعتراف بطرس :

أما إشارة السيد الواضحة الى الكنيسة بذات الاسم فجاءت في (متى ١٨ : ١٨) وقد بنيت على اعتراف بطرس بأن يسوع هو المسيح . وعلى هذا بنى بعض المسيحيين الأهمية الكبيرة للاعتراف العلني بالمسيح . واستنتج بعضهم أن الخدمة المسيحية الحقيقية هي تلك التي سارت في خط واحد مستمر لم ينقطع من بطرس رئيس الرسل . ولكن نظرا لهدف هذه الدراسة يكفي أن نقول ان التخطيط لمنظمة خاصة يطلق عليها « الكنيسة » لم يكن في حياة المسيح هو الهدف الأول . نعم يمكننا أن نقول انه توقع بل أمر بأن تكون هناك شركة ونشاط مستمرين ، ولكن الصورة التي تأخذها هذه الشركة ، تركه لهذه الجماعة الأمينة لكي تقيمه بإرشاد الروح القدس الذي يعلمهم ويرشدهم الى كل الحق (يو ١٤ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣) .

Recommended English Readings

DAVIES. J. G. — **The Early Christian Church**, PP. 19 - 29.

FILSON, Floyd V. — **A New Testament History** PP. 88 - 150

LATOURETTE, K. Scott — **A History of Christianity**,
PP. 37 - 60, 112, 113.

LIETZMANN, Hans — **A History of the Early Church**,
PP. 45 - 60.

WALKER Williston — **A History of the Christian Church**.
PP. 18 - 21.

الكنيسة في أورشليم

نأتى الآن الى الكنيسة الأولى التى بدأت وعاشت أيامها الأولى بعد صعود المسيح • والمصادر – التى تكاد تكون – الوحيدة لمعرفة هذه الفترة هى الكتب المقدسة وخاصة سفر الأعمال • ولكننا لن نتكلم بالتفصيل عن الحوادث التى سجلت فى هذا السفر ، بل سنقتصر فى حديثنا ، على السمات الأساسية لهذه الكنيسة الأولى • كيف كانوا يرون أنفسهم وكيف عملوا كتكوين جديد ••• أى جسد المسيح •

الكنيسة كمؤسسة لعصر جديد :

ينبغى أن يذكر هنا أن هذه الجماعة الصغيرة غير المعروفة من المسيحيين الذين عاشوا على هامش الامبراطورية الرومانية كانوا يخلقون منظمة تعيش وتبقى ، بينما تزول تلك الامبراطورية العظيمة وكل ما خلفها من امبراطوريات • ويمكن أن يقال ان كل شيء له تأثير فى العالم الغربى بل وكثير من بلدان الشرق الأوسط ، مما يعتبر « تراثا » (Legacy) من الحضارة الرومانية اليونانية مثل المفاهيم السياسية ، أسس القانون والفلسفة ، أشكال الشعر والفن ، وباختصار كل أسس الحضارة الحديثة والثقافة الانسانية ، كل هذه كانت الكنيسة عاملا أساسيا فى حفظه وتوصيله الينا • أما المؤسسون الأوائل فلم يفكروا فى هذا الاتجاه ولم يحلموا بأعمال القسوة والاجحاف التى كانت – بين الحين والآخر – تشوه تاريخ الكنيسة • لكن كان مركز انتباههم هو الرب المقام وما طلبه منهم ، وقد لا ترجع اليها كنيسة العصر الحديث الى هذه البساطة ، ولكنها يجب أن تعيش بضعفاتها وامتيازاتها ، لكن السنين الطويلة لم تستطع أن

تعتم رؤيا الرب المقام ، أو أن تضعف دعوته الحاسمة القوية للكنيسة
التي أحبها ، فى كل العصور .

تأثير القيامة :

لا ينكر أى دارس أن الكنيسة ولدت يوم الخمسين ، ومع ذلك فنحن
نوقن بأن تكوين الكنيسة فى شكلها البدائى ، ظهر حالما اقتنع التلاميذ
بقيامة السيد . فأينما ظهر السيد ، ومهما كانت الطريقة التى ظهر بها
سواء أكان للنساء فى البستان أو لبطرس وحده ، أو لتلميذى عمواس ،
أو للأحد عشر وهم مجتمعون فى العلية فى خوف ويأس ، أو على شاطئ
بحيرة الجليل ، أو للخمسمائة أخ الذين يذكرهم الرسول فى (١ كورنثوس
١٥ : ٦) ، فإن روحا جديدة تختلف عن الماضى ، تظهر واضحة
لموسة ، مملوءة بالبهجة والفرح والشكر ، ثم نظرة ثقة قوية الى المستقبل
بانتظاراته العظيمة .

ذلك لأن سيدهم لم يهزم ولم يتركهم بل أعطاهم المواعيد وتممها ولم
يكن ايمانهم به عبثا . أراد أن يستخدمهم فى أعمال عظيمة ، وكانوا
بدورهم مستعدين لذلك ، وهكذا ظهرت الكنيسة فكرا وحقيقة عندما تشكل
التلاميذ بهذه الرؤيا . وحتى لو لم يستخدموا كلمة « كنيسة » فانهم
صاروا كنيسة حالما اختبروا قوة قيامة المسيح . ولكى يكونوا عمليين
عزموا على ملء المكان الذى تركه يهوذا الاسخريوطى الذى خان سيده ،
بانتخاب رجل كان مؤهلا لأن يكون تلميذا ، متياس (أعمال ١ : ٢١ - ٢٦)
وبذلك برهنوا على أنهم كانوا ينظرون لأنفسهم كجماعة مترابطة مستمرة .

يوم الخمسين :

يعتبر يوم الخمسين وما حدث فيه ثانى الحوادث المهمة فى تاريخ
الكنيسة ، ويوم الخمسين هذا هو عيد الأسابيع اليهودى ، وسمى
بالخمسين لأنه يجىء بعد خمسين يوما من اليوم الذى فيه تدخل حزم
الشعير الى بيت الرب فى عيد الفصح . وهناك مناسبة أخرى يرتبط بها
يوم الخمسين وهى اعطاء الناموس على جبل سيناء . وهكذا لم يكن

اليوم غريبا على التلاميذ بل كانوا يعرفونه من قبل . فى ذلك اليوم كان حوالى ١٢٠ تلميذا مجتمعين فى العلية (أعمال ١ : ١٥) .

وقد اجتمع حولهم جمع كثير يسمعونهم باستغراب وهم يتكلمون بالسنة ، وهذا يدل على أن المكان الذى كانوا فيه كان مكانا عاما ومتسعا . ربما كان أحد قاعات الهيكل ، وان صح هذا الاستنتاج فهو يدل على أن اختيار القيامة ولد فيهم روح الشجاعة والاقدام ، وفى نفس الوقت لم تكن السلطات فى الهيكل قد أخذت منهم موقف العداء بعد ، بل كانت تعتبرهم يهودا محافظين .

ومن الناحية الأخرى ، فان الحقيقة البارزة فى العدد الضخم الذى آمن بعد عظة بطرس ، حيث انضم الى التلاميذ ثلاثة آلاف عضو آخر تدل على أن الكنيسة أصبحت شعبية بل ومنطقة جذب ضخمة من السهل أن تلفت اليها انتباه السلطات ، وبالأخص اذا عرف أن كل سكان اورشليم فى تلك الفترة كانوا عشرين ألفا . ومع ذلك فقد مر وقت طويل نسبيا لتظهر الحركة المضادة لمحاربة نشاط المسيحيين الأوائل ومضى وقت أطول ليطرده اليهود المسيحيين الذين من أصل يهودى من المجمع .

عمل الروح القدس :

لقد أمر يسوع تلاميذه أن ينتظروا وعده ويختبروا حلول الروح القدس عليهم ، وقد تم الوعد وجاء الروح القدس فى « صوت ريح وضوء هو السنة من نار » ولعل توقع التلاميذ لم يصل الى هذا الحد ولكنهم فرحوا به بكيفية جعلت الناس من حولهم تعرف أن أمرا عجيبا حدث لهم .

ومع ذلك فيجب أن نعرف أن الروح القدس يعمل ويظهر بكيفية أخرى ، ففي (يوحنا ٢٠ : ٢٢) نقرأ أن التلاميذ قبلوا الروح القدس عندما نفخ المسيح المقام فيهم فى هدوء . وفى هذا المجال يجب ألا ننسى نصيحة الرسول بولس للكورنثيين فى رسالته الأولى اليهم والأصحاحات ١٢ و ١٣ و ١٤ عندما كان يناقش المواهب الروحية فى اطار المحبة والوحدة المسيحية ، هذه نصيحة يجب أن تذكرها الكنيسة دائما اذ يقول لهم .

« جدوا للتنبؤ ولا تمنعوا التكلم بالسنة • وليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب » (١ كورنثوس ١٤ : ٣٩) •

عظة الرسول بطرس :

كانت عظة بطرس الحدث الهام الثانى فى يوم الخمسين عندما أجاب على تساؤل وحيرة المشاهدين : « ماذا يعنى كل هذا ؟ » فى هذا الموقف الذى فيه شهد بأن « يسوع هذا الذى صليبتموه أنتم ، جعله الله ربا ومسيحا » استطاع بطرس أن يخلط العاطفة المتقدة بالدعوة الذهنية ، وبذلك جمع بين الخبرة الروحية والشهادة للايمان • وهكذا استطاع فى عظته الأولى أن يجمع العناصر الجوهرية للإنجيل ، فالعهد القديم الذى أشار الى مجيء المسيح قد تمت نبواته ، والمسيح قد صلب بأيدي الأئمة والله أقامه من الأموات ، ونحن شهود لهذه الحقيقة ، ويسوع هذا هو رب ومخلص ، ولهذا فيجب أن تتوبوا وتخلصوا (أعمال ٢ : ١٤ - ٣٦) •

كانت الألسنة سبب حيرة للناس ، ولكن عظة بطرس وضعت أمامهم بكل وضوح دعوة لتسليم الحياة ، ولهذا تقدم ٣٠٠٠ عضو الى الأمام ، وتابوا واعتمدوا وانضموا الى الكنيسة •

هذه العناصر الثلاثة المرتبطة معا : الخبرة الروحية والشهادة العلنية ونمو الكنيسة تدل بكل وضوح على أن الكنيسة قد اتخذت القرار الحاسم بالعمل والتحرك لتقديم المسيح يسوع الى العالم غير عابئة بما يجره عليها هذا العمل ولا كم هى النفقة التى ستتكلفها ، يكفى أن تتحرك • وهكذا يمكننا أن نقول بحق أن يوم الخمسين هو يوم ميلاد الكنيسة •

مميزات كنيسة اورشليم :

بدأ هؤلاء المسيحيون يشعرون بهويتهم ، ويحسون أنهم شركة وجماعة مميزة وبدأت بعض الصفات الهامة تظهر فى جماعتهم هذه • لم يطلقوا على أنفسهم بعد لقب مسيحيين ، ولكنهم كانوا يعرفون فى أنفسهم جماعة من اليهود اكتشفوا لأنفسهم المسيا المنتظر ، وهم يعيشون

الآن فى انتظار مجيئه ثانية • الى جانب ذلك استمروا يعبدون فى الهيكل
لأسباب عديدة •

ربما منها أن الهيكل هو المكان المتسع المناسب والمثالى للشهادة ،
ولكن فوق ذلك كان من حقهم الطبيعى كيهود أن يجتمعوا هناك • كان
الهيكل هيكلهم بنفس الدرجة الذى كان للمسيح ربهم من قبلهم •

الأمور التى ميزت المسيحيين :

ولكن هناك أيضا بعض القيم التى كانت تميز المسيحيين دون غيرهم
منها : ضرورة سكنى الروح القدس ثم المعمودية التى رغم أنها نبئت من
معمودية يوحنا المعمدان ، لكنها صارت اجراء ضروريا للدخول فى
الشركة المسيحية • وهناك أيضا شواهد تدل على أن الكنيسة بدأت من
أول تكوينها تضع أهمية خاصة على يوم الأحد أول أيام الأسبوع ، وذلك
بتخصيص نوع من العطاء (١ كورنثوس ١٦ : ٢) ، وكسر الخبز الذى
كان يجرى فيه (أعمال ٢٠ : ٧) ، وقد أطلق عليه اسم « يوم الرب »
(رؤيا ١ : ١٠) • لقد خلقت قيامة السيد أهمية عظيمة لهذا اليوم بالنسبة
للمسيحيين فأصبح سهلا عليهم أن يعبدوا الرب فيه مع أنه لا يوجد
ما يجعلنا نعتقد أنهم أبطلوا تقديس يوم السبت اليهودى • كما كان يوما
الاثنين والخميس يومى صوم لليهود ، وكان المسيحيون الأوائل يحفظونها
بكل اخلاص • ولكن بمرور الوقت استبدلوهما بيومى الأربعاء (الذى
فيه أسلم المسيح) والجمعة (لأنه صلب فيه) •

انشطة الرسل ومواعظهم :

وكانت هناك أيضا أنشطة الرسل العلنية من شفاء مرضى ووعظ ،
وخاصة من الرسولين بطرس ويوحنا ، (حوالى ١/٥ سفر الأعمال يتكون
من مواعظ)(*) وتعليم المؤمنين • ويجدر بنا هنا ملاحظة أن مواعظهم

(*) المواعظ فى سفر الأعمال هى : لبطرس : (أعمال ٢ : ١٤ - ٤٠ ، ٣ : ١٢ -
٢٦ ، ٤ : ٨ - ١٢ ، ١٠ : ٣٤ - ٤٣) • ولأسطفانوس : (٧ : ٢ - ٥١) •
ولبولس : (١٣ : ١٦ - ٤١ ، ١٧ : ٢٢ - ٣١ ، ٢٠ : ١٨ - ٣٥ ، ٢٢ : ١ - ٢١
٢٦ : ٢ - ٢٩ ، ٢٨ : ٢٣ - ٢٨) •

مع أنها كانت مركزة على المسيح الحى المقام وسلطانه فى الكنيسة ، الا أن جذورها كانت مثبتة فى الناموس وفى التاريخ اليهودى وفى كتابات الأنبياء وكانت فى حقيقتها دعوة الى التوبة والرجوع الى الله . وكانوا يعتقدون أنهم لهم الحق فى الهيكل وفى الوعظ فيه ويؤكدون أنهم لا ينادون بديانة جديدة أو جماعة جديدة ولكنهم يعملون على ارجاع اسرائيل الى المعنى الأساسى الذى أعلنه لهم يسوع .

مجيء المسيح الثانى :

وكان الفكر السائد بين الجماعة الأولى هو العنصر الاسخاتولوجى، فقد عاش المسيحيون فى انتظار رجوع السيد الذى اعتبروه على الأبواب ، وذلك استنادا الى ما قاله يسوع لهم (متى ٢٤ : ٣٢ - ٣٦ ، ومرقس ١٣ : ٢٨ - ٣٧ ، لوقا ٢١ : ٢٩ - ٣٦) . وكما أن الرسول بولس يختتم رسالته الأولى الى كورنثوس بقوله : « ما ران اثا » أى « ربنا تعال » (١ كورنثوس ١٦ : ٢٢) . ويقول فى رسالته للفيلبيين « الرب قريب » (فيلبى ٤ : ٥) . ويختتم يوحنا الرؤيا بهذا القول : « يقول الشاهد بهذا نعم . أنا آتى سريعا ، آمين . تعال أيها الرب يسوع » (رؤيا ٢٢ : ١٠) . وبهذا كانت الكنيسة ذات طبيعة توسطية فهى كقنطرة تربط ما بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثانى القريب جدا فهى جماعة بدت وكأنها قد حرمت مؤقتا من قائدها وتنتظر رجوعه ثانية .

وهنا يكمن الرد على التساؤل عن الصلة بين الكنيسة وملكوت الله ، فالكنيسة ليست بديلا عن الملكوت ولم تأت بدلا عنه ، لقد جاءت لتمكن الانسان من أن ينتظر مجيء الملكوت .

حياة الشركة المسيحية :

بدت للمسيحيين الأوائل أهمية اجتماعهم معا فى بيوت بعضهم البعض ، فقد كان هناك مسيحيون يسكنون فى أورشليم وكانت لهم بيوت كبيرة تتسع لجماعات منهم (ويبدو أنه لم يكن لأى واحد من التلاميذ بيت فى أورشليم غير يوحنا مرقس) . وربما كان اجتماعهم معا فى هذه البيوت

بسبب الخوف من اليهود ، ولكن كان أساسا لكي يمارسوا معا فريضة العشاء الرباني الذي كان عزيزا عليهم أكثر من سائر الممارسات الأخرى ، والذي لم يكن يرضى لهم اليهود أن يقوموا به في الهيكل ، ويلوح أيضا أن كسر الخبز في بيوت في المساء كان هاما بالنسبة لهم ، لأنهم كانوا يعتقدون أن المسيح سوف يأتي بينما هم يشتركون معا في كسر الخبز (أعمال ٢ : ٤٢) . ومع أن عشاء الرب وكسر الخبز كانا يمارسان في وقت واحد إلا أنهما بمرور الوقت ، بدأ يتمايزان ، وكان هناك شيء آخر هام وهو ما يعبر عنه « وكان عندهم كل شيء مشتركاً » وهذا يدل على أنهم كانوا يحيون حياة جماعية ، وكان يلزمهم أن يستخدموا البيوت المتسعة لاجتماعاتهم . هذه « الاشتراكية المسيحية » الأولى كانت ضرورة اجتماعية لأن المسيحيين الفقراء الذين لم يكونوا من أورشليم أصلا ، لم يكن لهم سوى هذه البيوت ليمكثوا فيها . كما كان هناك سبب لاهوتي بسيط وهو قرب مجيء سيدهم ، وكان من الأحسن لهم أن يحيوا معا منتظرين ذلك الحادث الجليل ، ففي مقابل الاعداد لمجىء الرب ، كانت الممتلكات لا تساوى شيئا . ولكنهم لم يفعلوا ذلك ليكون أساسا لكنيسة المستقبل ولا للمجتمع عامة .

معنى كلمة «كنيسة» :

لم يذكر العهد الجديد السبب الذي لأجله استخدم التلاميذ كلمة « كنيسة » ولا متى استخدموها . وبقدر ما نعلم لم يطرح هذا السؤال للبحث أبدا وعندما استخدمها القديس لوقا في (أعمال ٥ : ١١) فعل ذلك دون أى تنبير أو تعريف ، واستمر كذلك في كل كتابه . ولكن العهد الجديد استخدم كلمة « الكنيسة » بمعنى « اجتماع » ، أى اجتماع جماعة مسيحية في مكان ما . وقد تطلق على المسيحيين أنفسهم عندما يجتمعون معا للعبادة . ولكن هذه الكلمة بدأت تكسب معناها اللاهوتي في كتابات الرسول بولس عندما نبر عليها تنبيرا عميقا في رسائله وأعطاه ذلك المعنى الذي نعرفه نحن الآن . ولعل التلاميذ الأوائل كانوا يتذكرون كلام السيد لبطرس ، ولعلمهم كانوا في حاجة الى كلمة تطلق على جماعتهم لتمييزهم عن اليهود الآخرين . ولقد قرأوا تلك الكلمة في الترجمة السبعينية بمعنى « كل الشعب كجماعة مدعوة من الله » (اكليسيا) ، وهي ترجمة

الكلمة العبرية « كنيسة » بمعنى « اجتماع » وبهذا المعنى أخذها التلاميذ وأطلقوها على أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أنهم اسرائيل الحقيقي ، وبذلك صارت وصفا لهم ولشركتهم .

تنظيم الكنيسة :

وأخذ الوقت يتقدم بالكنيسة ، كما بكل تنظيم بشرى آخر ، فإننا نلمح انتقالا تدريجيا من جو الانتعاش الأول ، الى حالة من الاستقرار والنظام ، فالكنيسة ظلت تعتبر نفسها جماعة ذات مبادئ علوية سامية ، تعيش في أواخر الأيام ، ولكنها كانت تدرك أيضا انه يجب عليها أن تؤدي خدمتها حسب الواقع البشري .

قوة عمل المعجزات التي كانت للرسول :

بدأ التحرك نحو التنظيم في الكنيسة عندما بدأت الجماعة تعترف بقيادة الرسل . وهذه القيادة لم تأت عفوا ولكنها بنيت على مجموعة من الاعتبارات : فهم الذين رافقوا يسوع في حياته في الجسد وقد رأوا الرب المقام ، وكانوا يعظون ويعلمون وكانت لهم قوة خاصة لعمل المعجزات لم تكن للآخرين . ولقد دون (أعمال ٨ : ١٤ - ١٦) أن بطرس ويوحنا صليا ووضعوا أيديهما على المؤمنين في السامرة فحل عليهم الروح القدس ، ومع ذلك فان سفر الأعمال يبين أن كل هذه القوات والآيات كانت نعمة وهبت لهم من المسيح ، فهو وحده مصدر السلطة في الكنيسة كلها ، هو الذي عمل في الرسل وفي كل من كانت لهم مواهب روحية بل وفي كل جماعة المؤمنين .

القيادة والمسئولية في الكنيسة الأولى :

من الأمور الملاحظة في سفر الأعمال أن لا يذكر بعد (١ : ١٣) سوى بطرس ويوحنا فقط من بين التلاميذ الاثنى عشر ، ثم بدأ اسم يعقوب أخى الرب في الظهور بين أسماء القادة ، أصبح واحدا من الأعمدة ورئيسا في مجمع أورشليم ثم قائدا للكنيسة في أورشليم . الى جانب

هؤلاء ظهرت أسماء فى مراكز أقل من الثلاثة السابقين : فهناك لجنة السبعة التى اختيرت لتوزع الطعام على الفقراء ، وهناك الشيوخ الذين أقيموا فى كل كنيسة (أعمال ١٤ : ٢٣) ولعلمهم كانوا امتدادا للشيوخ اليهود . ومع كل هذا فمن الأمور الهامة والملاحظة أن الكنيسة لم تكن تهتم كثيرا بالألقاب أو المراكز ، وكان يختارون الشخصيات ذوى المواهب الملائمة لعمل خاص ولنفع الكنيسة . فالرسل الاثنى عشر ، عندما عرضت عليهم مشكلة الأرامل اليونانيات (أ١ ع ٦ : ٢) ، لم يقولوا انهم لن يخدموا الموائد لأنهم رسل ، بل قالوا : « لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد » فالخدمة عند الرسل كانت وكالة تبني على المواهب الخاصة التى أعطيت لهم ، ومسئولية لنمو الكنيسة وبنائها .

المعارضة ضد الكنيسة :

بالرغم من ظهور المعارضة من وقت قيامة المسيح ، الا أن الكنيسة كانت تتمتع بحريتها بعد يوم الخمسين . وظهرت المسيحية على أنها حركة شعبية داخل اليهودية ظهرت فى أورشليم ، انضم اليها الكثيرون من اليهود دون أى خوف من تدخل السلطات ضدهم سواء أكانت سلطات يهودية أم رومانية . فالرومان لم يفرقوا بين المسيحية واليهودية . ويذكر سفر الأعمال فى هذا الصدد عن غاليلو والى أخائية أنه رفض التدخل ليحكم بين اليهود والمسيحيين لأن الأمر عنده لم يكن يتعدى « كلمة وأسماء وناموسكم » (أعمال ١٨ : ١٥) .

تردد اليهود فى اضطهاد المسيحيين :

لكن المعارضة الأولى جاءت من رؤساء الكهنة والصدوقيين ، لأنهم رأوا فى الحركة المسيحية تهديدا لسلطانهم الكبير فى الهيكل ، فعندما أحضر بطرس ويوحنا أمام السنهدريم ، وعندما وضع الرسول بطرس التحدى الضخم بكل شجاعة أمامهم (أعمال ٤ : ٨ - ١٢) ظهر على أعضائه التردد والارتباك ، ولم يعرفوا كيف يتعاملون معهما ، وكان كل الشعب يتقبل الرسل ويتبعهم حتى أن الجنود حين ذهبوا لكى يقبضوا

عليهم (بعد معجزة اخراجهم من السجن) فعلوا ذلك بدون عنف بل بكل هدوء خوفا من الشعب (أعمال ٥ : ٢٦) . فلم يكن مستغربا اذا أن ينصاع السنهدريم الى رأى غملائيل ويترك الأمر فى يدى الله نفسه . (لاحظ أن غملائيل كان فريسيا وأن المعارضة جاءت من الكهنة والصدوقيين ، ومع ذلك كانوا يترددون فى اتخاذ عمل علنى ضد التلاميذ) ولقد كان وعظ التلاميذ مؤثرا حتى أن كثيرين من الكهنة والفريسيين آمنوا بالمسيح (أعمال ٦ : ٧ و ١٥ : ٥) .

استشهاد اسطفانوس :

لقد بدأ الاضطهاد العلنى القاسى باستشهاد اسطفانوس . ويلوح أنه شمل أولا اليونانيين الذين أصبحوا مسيحيين . فهل كان ذلك لأن اليونانيين كانوا مكروهين لدى اليهود الفلسطينيين الذين كانوا يتكلمون الآرامية ؟ أم لأن السلطات كانت أقل ترددا وخوفا فى اضطهاد المسيحيين اليونانيين ؟ لا نستطيع أن نعرف ذلك على وجه التحقيق لأن الكتاب لم يذكر ذلك . لكنه من الواضح أن اسطفانوس كان يتمتع بمواهب ممتازة حتى أنه عمل آيات ومعجزات بين الناس ، وعندما اتهموه بأنه يتكلم ضد الناموس والهيكل ، قال نفس ما قاله بطرس من قبل : ان الله « لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى » ثم اتهم اليهود بأنهم يقاومون الروح القدس ويكسرون الناموس . وكان من جراء ذلك أن هجم عليه اليهود وجروه الى خارج المدينة ، وهناك رجموه حتى الموت دون أية محاكمة . ومن ذلك الوقت وجدت السلطات الشجاعة الكافية لاضطهاد المسيحيين علنا ، وكان الشخص الذى تزعم هذه الحملة المروعة هو شاول الطرسوسى الذى نشر الاضطهاد فى اورشليم والبلاد التى حولها . وبدأ الاضطهاد اليهودى يزداد .

النشاط المرسلئ الأول :

كان من نتائج هذا الاضطهاد أن تشتت المسيحيون خارج اورشليم وبدأوا التبشير فى أمكنة أخرى . والأصاحح الثامن من سفر الأعمال يذكر نجاح فيلبس المبشر (يونانى) فى تبشير السامرة ثم فى تبشير

وزير ملكة الحبشة (*) ، وفى البلاد الواقعة على طريقه الى قيصرية على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط فكانت ارسالية متسعة • وفى (أعمال ٩ : ١ و ٢) يذكر القديس لوقا أن شاول الطرسوسى كان ينفث تهديدا وقتلا فى تلاميذ الرب وخصوصا فى مجامع دمشق ، مما يدل على أن الانجيل كان قد وصل الى ذلك المكان البعيد • ويلوح أن الاضطهاد الذى شنه شاول الطرسوسى لم يكن بالغ القسوة لأن الرسل كانوا يحسون بالأمان فى خروجهم ودخولهم الى اورشليم ، فقد بقى عدد منهم فى اورشليم يبشرون بالكلمة كلما سنحت لهم الفرصة •

مدى اتساع شهادة الكنيسة :

عند هذا الحد نستطيع أن نرى أن الكنيسة كانت تمتد وتتسع جغرافيا وتنظيميا • فلم يقتصر التبشير على الاثنى عشر رسولا ، بل كان هناك كثيرون غيرهم مثل اسطفانوس وفيلبس • ولقد بشروا فى كل مكان ولكل انسان • ويبدو أنهم كرسل للمسيح كان لا يزال لهم نوع من الاشراف فى الكنيسة كلها • فلما سمعوا فى اورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله ، ذهب بطرس ويوحنا ليريا ماذا هناك • ولكن عندما انتشرت الكلمة فى انطاكية أرسلوا اليها برنابا ، الذى لم يكن واحدا من الاثنى عشر (أعمال ١١ : ٢٢) •

بطرس المرسل المسيحى :

وفى هذه الأثناء أيضا حدث شئ بالغ الأهمية فى تاريخ الكنيسة ، هو تحول بطرس الرسول الى مرسل متجول – ربما كان وحده فى ذلك الوقت • فذهب الى السامرة ثم الى لدة وأخيرا الى يافا حيث جرت على يديه قوات وعجائب فى المدينتين • فى يافا مكث عند رجل دباغ اسمه

(*) قصة الخصى الحبشى قصة مؤثرة ، وبينما لا نستطيع أن نثبت أن الخصى لم يكن يهوديا ، لكن يلوح أنه كان واحدا من « أنصاف المؤمنين » باليهودية ، يحب اليهودية ولكنه لم يتهود (ولأنه خصى فمن غير المحتمل أن يكون من أصل يهودى)
أنظر

The Interpreter's Dictionary of the Bible, « The Ethiopian Eunuch ».

سمعان (كان الدباغ نجسا عند اليهود) . أما الحادثة التي كانت نقطة تحول فى حياة بطرس وحياة الكنيسة كلها ، فكانت تبشير كرنيليوس قائد المائة الرومانى . لقد دعاه الرب بواسطة الرؤيا السماوية وهو فوق سطح بيت سمعان الدباغ ، لأن يختلط بكل الناس من كل جنس وأمة ، وأن يقدم الانجيل حتى الى الأمم . وهكذا حدث ، فذهب الى بيت كرنيليوس وبشره مع أهل بيته وعمده ، وكان ذلك مبعث دهشة لليهود المسيحيين الذين كانوا معه . ولكنه عندما رجع الى اورشليم واجهته عاصفة من الانتقاد من جانب أهل الختان (ويلوح أن هذه القضية كانت قد أوجدت انقساماً فى الكنيسة) ولكنه أخبرهم بكل ما حدث بكل قوة منهيًا خطابه بقوله : « فمن أنا ؟ أقادر أن أمنع الله ؟ » (أعمال ١١ : ١٧) . فلم يستطع معارضوه أن يجيبوه . وهكذا نقض الحجاب بين اليهود والأمم وعرف المسيحيون الأوائل المدى الواسع لارساليتهم التي ينبغي أن تمتد أبعد بعيداً عن حدود بيت اسرائيل . الى كل اليهودية والسامرة والى أقصى الأرض كما أوصاهم السيد . ومع ذلك فقد كان الشخص الذى حمل هذه القضية الى نهايتها هو بولس الرسول .

نمو الكنيسة بين الأمم :

فى هذه الأثناء اجتاز المبشرون الى فينيقية وقبرص وأنطاكية (*) يبشرون اليهود أولاً ثم للأمم أيضاً ، أما الكنيسة فى أنطاكية فقد نمت بسرعة فى العدد والتأثير حتى صارت المنافس الأول لأورشليم فى الأهمية ، فقد دعى التلاميذ مسيحيين لأول مرة فى أنطاكية (أعمال ١١ : ٢٦) ربما أطلقه عليهم الذين من الخارج للتمييز . ولكن الأهم من ذلك هو أن اليهود والأمم عندما اجتمعوا معا لم يكن ممكناً أن يطلق عليهم لقب يهود .

ولسبب من الأسباب يركز القديس لوقا فى كتابه ، سفر الأعمال ،

(*) يوجد دليل على وصول الانجيل الى افريقيا الشمالية عندما ذكر فى أعمال الرسل وجود قيروانيين فى أنطاكية (أعمال ١١ : ٢٠) كما ذكر أيضاً اسمان افريقيان : نيجر ولوكيوس القيروانى (أعمال ١٣ : ١) .

على ما كان يحدث فى العالم اليهودى واليونانى • ولكننا نعلم أن المسيحية قد انتشرت شرقا وجنوبا أيضا • فيوسابيوس المؤرخ المسيحى يكتب فى القرن الرابع انه فى أثناء حكم طييارىوس قيصر قبل ٣٧ م : « كانت كل الأرض تستجيب لمناداة المبشرين والرسل » • قد يكون فى هذا القول بعض المبالغة ، لكننا نعرف أن الكنيسة نمت وكبرت فى بعض الأمم الأخرى ، مثلا : مصر وقد بشرها مرقس (*) ، كما ذهب توما الى البارثنيين ثم الى الهند •

ثم ظهرت كنيسة « سريانية » قوية بين الآراميين • وكنيسة الناصريين فى بيلا فى شرق الأردن حيث التجأ المسيحيون اليها سنة ٧٠ م عندما خربت اورشليم ، وبينما لا نستطيع أن نحدد أسماء البلاد التى ذهب اليها

(*) قصة الرسول مرقس فى مصر موجودة فى كتاب « تاريخ البطارقة لكنيسة الاسكندرية القبطية (كتاب جمع من مصادر قبطية قديمة) • ولد مرقس من أبوين يهوديين عاشا فى القيروان • ولقد ترك الوالدان خوفا من البربر موطنهما الى اورشليم ، حيث ولد مرقس وصار تابعا ليسوع عندما كان شابا • وصار بيت أمه فى اورشليم مكانا يجتمع فيه التلاميذ بعد صعود المسيح • أما مرقس ، وهو شاب متعلم ، فكان مترجما لبطرس الرجل البسيط الصياد ، وكان مرقس أول من كتب الانجيل فى كتاب • بعد ذلك سافر وبشر بالانجيل فى شمال أفريقيا حتى جاء أخيرا الى الاسكندرية واستقر فيها • أما تاريخ مجيئه الى مصر فمختلف عليه (ما بين ٥٥ - ٦١ م) • بدأ تبشيره هناك بعد أن شفى اسكافيا ، فتجدد هو وأهل بيته • ثم انضم كثيرون غيره الى الكنيسة الجديدة • كما سافر مرقس أيضا الى روما والخمس المدن ، ولكنه كان يرجع من وقت لآخر الى الاسكندرية حيث بدأت الاضطهادات تهدد الكنيسة هناك • وقد حدث أن جاء عيد القيامة فى نفس يوم عيد الاله الوثنى سرابيس سنة ٦٨ م • فاجتمع جمهور كبير من الوثنيين وهاجموا المسيحيين وأمسكوا بمرقس وجروه فى الشوارع بحبل فى عنقه لمدة يومين حتى مات • ولكن عاصفة ممطرة شديدة هبت فتفرق الوثنيون ، فقام المسيحيون سرا وأخذوا جسده ودفنوه فى الكنيسة • ويذكر التاريخ أن هذا الجسد قد أخذه أهل فينيسيا ودفنوه فى كاتدرائية مرقس فى فينيسيا فى القرن التاسع • واطهارا للنيات الحسنة أعيد الجسد مرة أخرى الى الكنيسة القبطية ووضع فى كاتدرائية القديس مرقس فى القاهرة عام ١٩٦٨ م (عن تاريخ الكنيسة الشرقية للكاتب عزيز سوريال عطية ، صفحة ٢٥ - ٢٨) •

كل رسول من الرسل ، كما تذكر التقاليد القديمة (*) الا أن الشواهد تدل على أن الكنيسة امتدت الى بلدان كثيرة لم تذكر في سفر الأعمال .

أهمية كنيسة اورشليم :

ولكن مهما كان المدى الذى وصل اليه الانجيل فان كنيسة اورشليم ظلت تعتبر المركز أو « الكنيسة الأم » وعندما بدأ بطرس الذى كان يعتبر القائد للكنيسة ، فى التجوال ، انتقلت الزعامة ليعقوب (أخى الرب) الذى برهن على أنه قائد قوى . وعندما جاءت المجاعة (٤٥ - ٤٦ م) اشتركت كل الكنائس فى ارسال المعونات الى اورشليم . وتعود أهمية اورشليم لأسباب دينية فحينما كان يظن المسيحيون أنهم جماعة يهودية مصلحة ، كان الهيكل لهم مركزا للعبادة . زد على ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن رجوع السيد سيكون الى اورشليم . وعلى هذا الأساس ، ورغم اتساع الاضطهاد خاصة فى عهد هيرودس أغريباس (أعمال ١٢) ، فقد بقى المسيحيون فى اورشليم مدة طويلة . ولقد مر بنا أن المجمع المسيحى الأول الخاص بالتهوديين عقد فى اورشليم ، فلقد جاء بولس وبرنابا من أنطاكية الى « الرسل والمشايع » الذين كانوا يسكنون هناك (أعمال ١٥ : ٣) . ولكن عندما مضى الجيل الأول ، بدأت الكنيسة تصبح رويدا رويدا ، أممية أكثر منها يهودية ، ورأت ان الرب يتأنى فى مجيئه الثانى ، وبدأت الكنائس خارج اورشليم تزداد عددا واثراء . وبدأ يتراجع مركز كنيسة اورشليم ، واستقر الحال هكذا الى أن حدثت الكارثة فى ٧٠م بتدمير اورشليم .

(*) الدول التى نسبت الى بعض الرسل هى : بطرس : روما ، اندراوس : سكيثيا Scythia . متى : الحبشة، يعقوب : أسبانيا ، توما : الهند ، فيلبس : بلاد فارس ، سمعان : انجلترا ، مرقس : مصر ، تداوس وبرثليماس : أرمينيا .

Recommended English Readings

- Atiya, A.S. **A History of Eastern Christianity**, PP. 25 - 28.
- Chadwick, Henry — **The Early Church**, PP. 12 - 18.
- Danielou, Jean & Henri Marrou — **The Christian Centuries**
Vol I, **The First Six Hundred Years**. PP. 3 - 28.
- Davies, J. G. **The Early Christian Church**, PP. 39 - 40.
- Filson, Floyd V. **A New Testament History**, PP. 153 - 195.
- Foster, John, **The First Advance** (Church History I - TEF
Study Guide) PP. 19 - 21, 35 - 40.
- Freund, W.H.C., **The Early Church**, PP. 35 - 45
- Lietzmann, Hans, **A History of the Early Church**, Vol. I,
PP. 61 - 74.
- Latourette, K.S. **A History of Christianity**,
PP. 65 - 68, 112 - 116.
- Walker, Williston, **A History of the Christian Church**,
PP. 21 - 24.

الرسول بولس ومسيحية الأمم

نأتى الآن الى شخصية عملاقة فى تاريخ المسيحية ، شخصية كان لها دور حاسم فى تاريخ المسيحية ونموها فى القرون اللاحقة ، هذه الشخصية هى الرسول بولس الذى كتب حوالى ثلث العهد الجديد ، وصارت أفكاره اللاهوتية نهائية لكل العصور ، وعمله المرسلى المثال لكل المرسلين فى التاريخ . عرف الرسول بولس بأنه رسول الكنيسة الغربية لكن رسائله تحوز على نفس الاحترام والتقدير فى الكنائس الشرقية التى تقرأها وتتأثر بها . ولا تزال طريقته فى العمل المرسلى نموذجا لهذا العمل فى القرن العشرين . لكننا لا نستطيع أن نقدم دراسة مفصلة عن أفكاره اللاهوتية هنا لأنها تخرج عن مجال هذه الدراسة ، ولا أن نذكر تفاصيل حياته فهى واضحة فى سفر الأعمال . ان كل هدف الدراسة هنا هو أن نكشف عن الكيفية التى صارت بها حياته وتفكيره أساسا فى تكوين المسيحية والكنيسة فى عصره .

١ - بولس المرسل

مؤهلات بولس :

كان الرسول مؤهلا تأهيلا حقيقيا فريدا لعصره . فلم يكن ذا مواهب عظيمة وعقل حاد وطاقاة بدنية لا حد لها فحسب ، بل كانت له أيضا خلفيته ودراسته الخاصة التى أهلتة للعمل الذى دعى اليه . كان يهوديا من طرسوس كيليكية . وكان يعرف العبرية واليونانية ، وغالبا الأرامية أيضا . وكانت مؤهلاته كعالم يهودى لا يشك فيها انسان فهو فريسي تعلم عند قدمى غملائيل العظيم . زد على ذلك أنه كان يحمل الجنسية

الرومانية • وهكذا كان مؤهلا لأن يعيش ويعمل مع الكنيسة فى وسطها اليهودى البسيط ، ثم يشتغل أيضا بين الأوساط الراقية المؤهلة تأهيلا يونانيا ، ويلوذ برعويته الرومانية حتى يحمى نفسه من ظلم السلطات ويستطيع أن يتكلم الى أعلى السلطات الرومانية •

استراتيجية الرسول فى عمله المرسلى :

بعد أن قابل الرب يسوع على طريق دمشق ، قضى الرسول بعضا من الوقت فى صحراء العربية بقصد الاعداد الروحي لحياته وعمله الجديد ، وبعد ذلك عمل على توطيد علاقاته مع الكنيسة فى اورشليم التى كان معروفا فيها كمضطهد قاس • وكان من الملاحظ منذ بدء حياته المسيحية والعملية أن الحقل الحقيقى لعمله المرسلى هو الأمم • ولذلك نراه بصحبة برنابا فى أنطاكية حيث بدأت الكنيسة تزدهر بين اليهود والأمم معا • ولكن ذلك لا يعنى أن بولس تجنب العمل بين اليهود ، بل على العكس من ذلك ، فعندما كان يدخل مدينة ما كان يبحث أولا عن اليهود سواء الدخلاء منهم أم الأصلاء • كان يدخل الجامع ليعظ ، وكانوا يطردونه منها فيأخذ معه الذين آمنوا بمناداته ويذهب الى الأمم ويبدأ التبشير بينهم • كان يعظ فى كل مكان ، وكان يكلم كل انسان يصغى اليه ، ولكنه كان حريصا على ألا يبشر حيث بشر آخرون قبله (رومية ١٥ : ٢٠) وبينما لم يكن يضع خطة منظمة لرحلاته كما يفعل الرحالة العصريون ، لكنه قصد أن يذهب الى أبعد حدود الامبراطورية اذا سمحت له الظروف والامكانيات • لقد قصد أن يذهب الى المراكز الحضرية : كآفسس وفيلبى وكورنثوس وروما ، ومع ذلك فقد اقتنع بالدعوة للذهاب الى مكثونية ، وليعظ سجانا قاسيا ، أو ليشهد لسيدته بين أنقاض سفينة كان مسافرا عليها •

الكنائس ذات الاكتفاء الذاتى :

كان الهدف الأساسى للرسول بولس فى جهوده المرسلية هو أن يقيم كنائس قوية لها اكتفاء ذاتى ، لهذا كان لا يكتفى بزيارة واحدة للكنيسة بل يرجع اليها ليعينها ويشجعها ، أو يكتب لها رسالة ، أو يرسل اليها

واحدا من معاونيه • ومتى تطلب الأمر ، كان يمكث في المدينة سنتين أو ثلاث ، ولكن لا يطيل اقامته أكثر من ذلك لئلا تعتمد الكنيسة عليه في خدمتها • ولهذا أيضا عمل جهده في خلق قيادات محلية قوية من داخل الكنائس وحملها المسؤولية كاملة • ومع أن طريقته هذه في الارسالية كانت بسيطة ، لكن الأجيال اللاحقة لم تتبعها ، فان الكنائس الصغيرة كثيرا ما كانت تضعف لاعتمادها الزائد على الكنائس القوية •

فردية الرسول بولس :

كان الرسول بولس من أعظم شخصيات الكنيسة ، ولذلك كان فخورا بدعوته ليكون رسولا ، لأن هذه الدعوة جاءت مباشرة من المسيح المقام الذي قابله على طريق دمشق • وهكذا يقول : « بولس رسول لا من الناس ولا بانسان بل يسوع المسيح • » (غل ١ : ١) وظهر تفرد في رفضه أن يأخذ معونة من الكنائس سواء أكانت طعاما أو سكنا مع أن لكل الرسل الحق في ذلك ، لأنه أراد أن يكون مستقلا (١ كورنثوس ٩) • وظهرت أيضا في عدم خشيته أو مماالته لأي انسان حتى ولو كان بطرس أو برنابا اللذين وبخهما بشدة لموقفهما من الأكل مع الأمم (غل ٢ : ١١ - ١٣) • ومع ذلك نراه يعمل مع أنواع كثيرة من الناس برضى واختيار ، مثل برنابا - رغم أنهما انفصلا بعد ذلك - وسيلا وتيطس وتيموثاوس ولوقا الذي كرس الأصحاحات الثلاثة عشر الأخيرة من سفر الأعمال ليصف ارسالية صديقه الرسول بولس •

الرسول بولس وكنيسة اورشليم :

يلز للدارس أن يرى مدى اهتمام الرسول بولس المستمر بكنيسة اورشليم ، وكيف كان يؤكد مرارا على ضرورة الجمع للقديسين في اورشليم • ولم يكن هذا من قبيل فعل الخير فقط ولكنه كان لظهار وحدة اليهود والأمم في اسرائيل الجديد (رومية ١٥ : ٢٥ - ٢٧ ، ٢ كورنثوس ٩) • ورغم عدم اتفاقه مع المتطرفين من أعضاء الكنيسة في اورشليم الا أنه عاد الى هناك مرة أخرى ليحمل العطاء اليهم بنفسه • وأكثر من ذلك فقد رضى أن يمارس طقس التطهير بل ودفع تكاليف هذا

الطقس لأربعة آخرين لكى يبرهن على يهوديته (أعمال ٢١ : ٢٣ و ٢٤)
وكان الدافع الحقيقى وراء كل ذلك هو رغبته فى تقدم الانجيل ووحدة
الكنيسة ، فلكى يحقق هذا الهدف أراد : أن يكون « لكل كل شئ »
(١ كورنثوس ٩ : ٢٠ - ٢٢) .

مواعظ الرسول بولس :

كل مواعظ الرسول بولس المسجلة فى سفر الأعمال تعتبر مثالية
فى تقديم الانجيل لكل الناس فى عصره . ولكم ظهرت الشجاعة والهمة
والاقناع فى كلماته ، وعلى الخصوص عندما يكون أمام سامعين معادين
له سواء أكانوا يهودا أم حكاما كفيلكس ، والملك أغريباس أو فلاسفة
يونانيين فى أريوس باغوس . وكانت رسائله تختلف بحسب حياة
وثقافة سامعيه . وهكذا صار الرسول كل شئ لكل انسان لكى يخلص
على كل حال قوما .

الرسول بولس الكاتب :

وهنا لا نستطيع أن ننسى عمق كتاباته وتأثيراتها . ولقد كتب رسائل
عديدة للكنائس ذات قيمة عظيمة ، وذلك فى عصر كعصره كانت الاتصالات
فيه صعبة للغاية . وكان يعالج أحيانا مشاكل محلية خاصة ، ولكنه
يطبق عليها نظرياته اللاهوتية العظيمة ، ولهذا فرسائله نافعة لكل الكنائس
فى كل العصور . وقد استخدم الرسول اسم الكنيسة بكثرة فجاءت هذه
الكلمة فى كتاباته ٦٣ مرة بينما وردت فى كل كتابات العهد الجديد الباقية
٤٦ مرة فقط (سواء كنيسة أم كنائس) ، وبينما يتحدث عنها القديس لوقا
فى عبارات عملية فإن الرسول بولس يتكلم عنها فى مفهوم لاهوتى كامل
بصورة فريدة فى الكتاب المقدس .

الكنيسة فى مفهوم الرسول بولس :

تعتبر الكنيسة فى مفهوم الرسول كائنا عضويا كالجسم البشرى
لا ينقسم ، رغم ما فيه من أعضاء متنوعة : رأسها المسيح بل عقلها
والمركز العصبى لها بل قلبها النابض بل مصدر حياتها . لقد دعا المسيح

الى كنيسته كل الناس يهودا وأمما عبيدا وأحرارا ذكرا وأنثى دون أى تمييز أو تفضيل • وقد أعطى عن طريق الروح القدس مواهب متعددة ليستخدمها الأعضاء فى بنيان الكنيسة ، ولتكون شركتهم فى الخدمة الكاملة لذاك الذى من أجله خسر الرسول كل الأشياء •

وشرح الرسول هذه النظرية عندما تكلم عن الكنيسة وقال « جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضا فى رجاء دعوتكم الواحد • رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة اله وآب واحد لكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم » (أفسس ٤ : ٤ - ٧) • لقد كانت رؤيا الرسول عن وحدة الكنيسة تمتد الى ما بعد الفرد الواحد أو الكنيسة المحلية الواحدة ، انها تمتد الى كل الكنيسة فى كل زمان ومكان « فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد » (١ كورنثوس ١٠ : ١٦ و ١٧) •

الرسول بولس والانقسامات فى الكنيسة :

ولكن الرسول لم يتألم لشيء قدر ألمه عندما يرى انقساما فى الكنيسة • وهناك مثال واضح لذلك فى رسالته الأولى الى كورنثوس ، عندما روع بانقسام تلك الكنيسة الى أربعة أحزاب • وكان موضوع الانقسام والدافع له هو فاعلية المعمودية من مختلف الرسل ، ويلوح أن أبولوس قد أوجد بعض الأفكار غير الصحيحة ، اذ يؤخذ من بعض الاشارات أنه كان يمزج فى تعاليمه المسيحية بعضا من الحكمة الوثنية ، ربما نوعا من الغنوسية أو بعض الفلسفات اليونانية •

ولعل مفهومه عن المعمودية لم يكن مكتملا بل كان ناقصا، وهذا ما دفع أكيلابريسكلا أن يأخذاه « ويشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق » (أعمال ١٨ : ٢٦) • على كل حال فقد ظهرت على الرسول بولس كل دلائل الألم والحزن لأن سببا ما قد أوجد انقساما فى كنيسته المحبوبة : « هل انقسم المسيح؟ ألع بولس صلب لأجلكم ؟ أم باسم بولس اعتمدتم ؟ • • لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا • • اذا لا يفتخرن أحد بالناس فان كل شيء لكم أبولس أم أبولوس أم صفا أم

العالم أم الحياة أم الموت أم الأشياء الحاضرة أم المستقبل ، كل شيء لكم
وأما أنتم فللمسيح والمسيح لله » (١ كورنثوس أصحاب ١ - ٣) .

ب - الرسول بولس والتهوديون

نأتى الآن الى مشكلة حادة فى الكنيسة الأولى وهى مشكلة
التهوديين ، ومع أنها ظهرت من قبل ، الا أنها عولجت وبكل حسم عن
طريق الرسول بولس ، الذى لولاه ولولا معرفته الحقيقية الواضحة بكل
الحقائق ، ونضاله الجاد لايجاد الحل الصحيح ، لما كانت هناك فرصة
كبيرة أمام الكنيسة الناشئة لأن تعيش ، بل كانت تصبح مجرد شيعة
يهودية صغيرة ، يلقي بها المؤرخون الرومان فى زاوية النسيان .

خبرة الرسول بطرس :

كانت مشكلة التهود هذه (أى الحياة كيهودى) قد بدأت تظهر
عندما ابتداء المسيحيون الذين من أصل يهودى يونانى يبشرون بين الأمم .
ومن المرجح أن فيلبس لم يعرف شيئاً عن هذه القضية عندما بدأ يقدم
الانجيل لغير اليهود ، لكن الأمر مع الرسول بطرس كان على غير ذلك ،
فقد أرشده الرب بتلك الرؤيا على السطح ، أن يذهب الى بيت كرنيليوس
الأممى ليبشره ، ولكن كان يوجد فى اورشليم البعض من أهل الختان ذلك
الحزب المتزمت الذى تحدى الرسول بطرس فيما فعل ، ولكن لأن هذا
الأخير رأى الملائة التى تحمل أشياء غير طاهرة ، فقد تمكن أن يدافع عن
نفسه بقوة ونجاح . لقد جاء السؤال أولاً لليهود المسيحيين : ألم يتمموا
ناموس موسى وما زالوا يتممونونه ؟ أليسوا يحملون فى أجسادهم علامة
الختان ؟ وعندما يطلب الأممى أن يصبح يهوديا ، ألا يطلب منه أن يقوم
بكل مطالب ناموس ؟ فلماذا لا يطلب اذا من الأممى الذى يريد أن يكون
مسيحيا ؟

أهمية « ضرورة الفرد يهوديا » :

يعتقد بعض العلماء أن الذين ألحوا على هذا الاتجاه هم جماعة

من الأمم صاروا يهودا ثم تغيروا الى مسيحيين . آخرون ظنوا أن « حزب الختان » هذا كان أصلا من الغيورين . فقد كان ذلك الوقت يتميز بالنشاط السياسى المركز ، ولا بد أن يظهر المسيحى اليهودى علامات الولاء للمجتمع اليهودى الكبير ضد الحكم الرومانى . أما المسيحيون الأمم فلم يختبروا ذلك الاحساس الا اذا كانوا قد تغيروا قبلا الى اليهودية ومنها الى المسيحية .

مجمع اورشليم :

ومهما كانت أسباب الانقسام ، فقد بقيت هذه القضية - قضية التهودية - تثار من آن لآخر بواسطة الجماعة المحافظة فى كنيسة اورشليم ، وظلت هذه الجماعة تثير الجدل حول هذه القضية حتى ٦٦م حين فرت الى بيلا (Pella) (ومع ذلك فلم يكن هذا الموضوع يثار) دائما فى اورشليم . ويذكر الرسول أنه أخذ معه تيطس الأسمى الى اورشليم ولكنه لم يضطر أن يخته (غلاطيه ٢ : ١ - ١٠) . ولكن عندما زاد الانقسام صار من الضرورى أن يبحث الأمر فى مجمع للكنيسة فى اورشليم ليتخذ فيها قرارا حاسما . ويذكر لوقا فى أعمال ١٥ قصة هذا الاجتماع وكيف استطاع الرسول بطرس بعد مباحثة طويلة أن يقنع الحاضرين من الرسل والمشايع ألا يضعوا « على عنق التلاميذ نيرا لم يستطع أبائنا ولا نحن أن نحمله » . ولعل القوات والآيات التى جرت على يدى بولس وبرنابا بين الأمم ، كان لها أثر كبير فى اقناع السامعين . وهكذا جاء حكم يعقوب الرسول الذى رأس الاجتماع حاسما ومؤيدا لموقف بولس ، غير أنهم أضافوا أمرا بسيطا وهو أنه ينبغى على المسيحيين الأمم أن يتجنبوا « ما ذبح للأصنام والزنا والمخنوق والدم » (أعمال ١٥ : ٢٩) .

نتائج قرار اورشليم :

ظهرت لهذا القرار التاريخى نتائج متعددة : أصبح بولس وبرنابا

(*) هذا الاجتماع المسيحى التشريعى الأول جرى غالبا عام ٤٩ م .

رسولين للأمم خاصة ، وصار بطرس لليهود • وأخذ بولس على عاتقه أن يقدم المعونات للكنيسة في أورشليم حتى وهو بعيد عنها • ولكن أهم من ذلك كله : صار لحفظ الناموس معنى آخر بالنسبة للمسيحيين ، فلم يعد ذلك بعد وسيلة للخلاص ولكنه علامة على أن الخلاص منح بدون أية شروط •

ناموس الطعام لليهود والأمم :

ومن المهم أن نلاحظ أن الرسول بولس لا يذكر مطلقا هذا القرار في رسائله الى الأمم ، والأرجح أن ذلك لم يكن عن تجاهل لذلك القرار ، بل لوصوله الى تفاهم كامل ، فيما يتعلق بهذا الأمر ، مع المتجددين من الأمم • ولقد ظن أحد العلماء أن الأمم الملمين بقواعد الأطعمة اليهودية ، قد راعوا هذه الممارسات عند مشاركتهم لليهود في الطعام ، دليلا على المودة ، وليس كشرط للخلاص •

وتدل الكتابات اليهودية أن هناك كثيرا من « الأمم الأتقياء » كانوا يحضرون خدمات المجمع ، وكان يطلب منهم أن يتمسكوا بحد أدنى من القوانين ، كتلك التي رسمها مجمع أورشليم •

استمرار مشكلة التهوديين :

ولكن مما يؤسف له أن هذه المشكلة استمرت مصدر قلق للكنيسة حتى بعد مجمع أورشليم • لأن ذلك الحزب المحافظ المتزمت في أورشليم استمر في موقفه المتعنت حتى اضطر الرسول نفسه أن يختن تيموثاوس رفيقه ليسكتهم (أعمال ١٦ : ٣) • بالطبع كانت أم تيموثاوس يهودية ، وكان الرسول بولس كمعبر عن الكنيسة يريد أن يكون فوق مستوى الشبهات • ومع ذلك بقي الشد والجذب بين الرأيين على أشده • فظهر بقوة في كنيسة أنطاكية عندما جاء رجال « من عند يعقوب » وفاجأوا بطرس وبرنابا ياكلان مع الأمم المسيحيين ، فارتبك الرسولان وانسحبا من مائدة الطعام • فانزعج الرسول بولس وغضب حتى انه تكلم بشدة ضدهما في رسالته الى غلاطية حيث كانت هذه المشكلة محتدمة ،

واستخدم الرسول تلك الحادثة لكي يكتب عن عقيدته الواضحة : « فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في » (غل ٢ : ٢٠) واتخذ ابراهيم مثالا ، فهو أول من أخذ العهد الذي تتضمن الختان (تكوين ١٧ : ٩ - ١٤) ولكنه مع ذلك « آمن بالله فحسب له برا » (تكوين ١٥ : ٦) وأظهر الرسول في خطابه الهدف الأساسي لاعطاء الناموس : « لكي يكون مؤدبنا الى المسيح لكي نتبرر بالايمان » ويقول أيضا : ان « غاية الناموس هي المسيح » (رومية ١٠ : ٤) .

انحسار مشكلة التهوديين :

لا نعرف من العهد الجديد طول المدة التي استمرت فيها قضية التهوديين مشتتة داخل الكنيسة ولكن ما نعرفه هو أن الرسول بولس هو الذي حارب واستطاع أن يعيد التوازن الى الكنيسة كمؤسسة لا يحتاج من يدخل فيها وينضم اليها سوى الايمان بالمسيح يسوع . ومما ساعد على أقول هذه الحركة التهودية أقول نجم الكنيسة في اورشليم وارتفاع نجم كنائس الأمم وازديادها في العدد والأهمية والتأثير(*) . نعم لقد كانت ترفع هذه القضية رأسها بصورة أو بأخرى من أن آخر لتمكن تقدم الانجيل . ومع ذلك فقد كان التغلب على تأثيرها مبكرا عاملا على تمكن الكنيسة من توسيع نطاقها عالميا وازدياد تأثيرها .

ج - طبيعة الكنيسة الرسولية الأولى

الوظائف في الكنيسة الرسولية :

لم يظهر الرسول بولس ، مثله في ذلك مثل كل الرسل الآخرين ، أى اهتمام بالمركز أو اللقب ، مع أنه كان من الناحية العملية ، أسقفا قوى الارادة . ولكنه يذكر عدة وظائف في رسائله ، وهي الرسل ، الأنبياء ،

(*) يبدو ان المجتمع اليهودي لم يستجب الى الدعوة المسيحية الا في الأيام الأولى ، ولم تعد كنيسة اورشليم كنيسة مرسلة ، وكانت لغتها الأرامية وثقافتها يهودية .

المعلمون وأيضا المبشرون والرعاة ، وكلهم يعملون فى خدمة وبناء الكنيسة ، وهو يؤكد أن الذين وضعوا فى هذه المراكز لهم حقوق وسلطات طبيعية ولكنه لم يكن هو نفسه مهتما بمراكز كهذه . كما كتب الى كنيسة تسالونيكى : « ثم نسألكم أيها الاخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم فى الرب وينذرونكم ، وأن تعتبروهم كثيرا جدا فى المحبة من أجل عملهم » (تسالونيكى الأولى ٥ : ١٢ - ١٣) . وفى الرسائل الرعوية يعطى رأيه فى المؤهلات التى تحتاجها كل وظيفة ، ولكنه أيضا لا يبدى اهتماما كبيرا بالامتيازات التى لها . أما هو فيذكر عن نفسه ومعه تيموثاوس فى تحيته لكنيسة فيلبى أنهما عبدان للرب ، ولكنه يخاطب أولا جميع القديسين « أى كل المؤمنين ثم الأساقفة والشماسة ولا بد أنه كان هناك عدد من الأساقفة فى الكنيسة مع عدد آخر من الشماسة مما يدل على أن هؤلاء الأساقفة فى مسئولياتهم الاشرافية كانوا بمثابة شيوخ .

الديداكى أو تعليم الرسل :

ومن أهم الوثائق التى ظهرت اما فى القرن الأول أو الثانى كتاب الديداكى (أو تعليم الرسل الاثنى عشر) وهو مرشد للمسيحيين يعطيهم معلومات أخرى عن الوظائف الكنسية . ويظهر فيه أن الرسل والمبشرين (أو المبشرين) هم قادة الايمان الأوائل الذين لم يمكثوا فى مكان واحد بل جالوا يبشرون فى كل مكان . أما الأنبياء فكانوا يمكثون فى مكان واحد يعملون فيه يقودون الخدمة ويعملون عمل الرعاة المقيمين فى مكان واحد يهتمون بكنيسة واحدة . أما المعلمون فهم الذين كانوا يفسرون الكتب المقدسة ويدربون المسيحيين الجدد فى الايمان . وكل هؤلاء الذين يعملون فى هذه الوظائف كانت تهتم بمعيشتهم الكنائس التى يخدمون فيها . وفى هذا الكتاب أيضا نرى تمييزا بين الذين دعاهم الروح القدس مباشرة وجهزهم بمواهب روحية وبين الذين انتخبهم أعضاء الكنيسة للقيام بخدمات تدبيرية كما كان الحال مع الأساقفة والشماسة .

العبادة فى الكنيسة الرسولية :

سبقت الإشارة الى أن المسيحيين الأوائل تمسكوا بالطريقة اليهودية

فى العبادة ، ويتضح لنا جليا أن الرسل وخاصة بطرس وبولس كانوا منشغلين جدا بالوعظ والتعليم حتى أنهم لم يهتموا كثيرا بشكالية العبادة ، باستثناء ممارسة عشاء الرب . ويلوح أيضا أن أشكال العبادة اليهودية كانت أمرا عاديا عندهم حتى أنهم لم يفكروا فى أن يذكروا شيئا عنها فى كتاباتهم ، فى مقابل اهتمامهم الزائد بالقضايا اللاهوتية والسلوك الاجتماعى . أما أنماط العبادة التى تبعوها فكانت بسيطة من تسبيح وتمجيد الرب وبالطبع الصلاة الربانية . والى جانب ذلك ربما كانوا يرتلون بعض المزامير اليهودية ، والترنيمات التى نطقت بها العذراء مريم وترنيمات زكريا وسمعان الشيخ كما ذكرت فى انجيل لوقا (لاحظ اشارة الرسول بولس الى مزامير وتسابيح وأغاني روحية) أفسس ٥ : ١٩ وكولوسى ٣ : ١٦) . وكان وقت العبادة أيضا هو الوقت الذى تظهر فيه مواهب الروح القدس مثل التنبؤ والتكلم بالأسنة مع تفسيرها . وكانت تصحبها صلاة شكر خاصة وصلاة من أجل الآخرين سواء أكان المصلون واقفين أو ساجدين أو رافعين أيديهم . ونرى فى (رومية ٨ : ٢٦) أن الصلاة الخاصة كان يظهر فيها الروح القدس معينا بكيفية روحية عميقة .

المعمودية وعشاء الرب :

ولكن يجب ألا نتسرع ونظن أن الرسول بولس كان لا يهتم بالعبادة ، بل يبدو أنه كان يعتبر أن العبادة لا يمكن أن تنفصل عن الحياة ذاتها ، فالشهادة المسيحية والخدمة هما فى ذاتهما نوع من العبادة : « قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية » (رومية ١٢ : ١) وكذلك كان يعتبر المعمودية اعتبارا خاصا كختم للإيمان تأخذ مكان الختان كعهد مع الرب (كولوسى ٢ : ١٢) . أما عشاء الرب الذى عبر عنه لكل الكنيسة فى كلمات الرب نفسه ، وحاول كل جهده أن يحميه من الفوضى وتحويله الى طعام عادى ، فقد كان يعتبره الفريضة الكاملة التى تعلن الاتحاد العضوى بين الرب وكنيسته وبين أعضاء الكنيسة بعضهم مع البعض (١ كورنثوس ١١ : ١٧ - ١٩) . لقد كان عشاء الرب يضع أمام المؤمنين حياة وموت المسيح على الأرض وحضوره المستمر فى جسده أى الكنيسة ، والرجاء فى اتمام وعده اتماما كاملا عند رجوعه مرة أخرى .

السلوك الاجتماعي المسيحى فى الفترة الرسولية :

اقتبس الرسول قول النبى اشعيا (٥٢ : ١١) « اخرجوا من وسطهم واعتزلوا » وطبقه على الحياة (٢ كورنثوس ٦ : ١٧) . لقد وجد المسيحيون أنفسهم يعزلون ، ليس فقط عن المجتمع اليهودى المعادى لهم والذي كانوا ينتمون اليه انتماء جزئيا ، بل أيضا عن المجتمع الواسع ، وذلك بسبب طبيعة معتقداتهم ، فبينما كان سهلا على الرومانى واليونانى اللذين كانا يعبدان آلهة عديدة ، أن يتبنوا ديانة جديدة ويضيفانها على دياناتهما المتعددة ، كان من المستحيل على المسيحى أن يشارك الوثنى فى ممارساته ، وأمامه مثل هذا التحذير الشديد لأنه « أية خلطة للبر والاثم ؟ وأية شركة للنور مع الظلمة ؟ وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ؟ ٠٠٠ فانكم أنتم هيكل الله الحى » (٢ كورنثوس ٦ : ١٤ - ١٦) . فقد رأى الرسول بثاقب نظره خطر الحرية من الناموس ، التى قد تصير فرصة للجسد ولذلك يقول فى (رومية ٦) ان حریتهم من الناموس جعلتهم الآن يستطيعون أن يسلكوا فى جدة الحياة ، فقد « اعتقتم من الخطية وصرتم عبيدا للبر » لهذا كان عليهم أن يعيشوا حياة البساطة والاعتدال مترفعين عن الشهوات ، تاركين الخطية ولابسين الفضيلة ، وان يحيوا ساهرين ٠٠٠ الخ . لقد صارت حياتهم نقية وبريئة بصورة جعلتهم منفصلين عن العالم . لقد صاروا مختلفين لأنهم لبسوا المسيح وقبلوه ربا لهم ولهذا يجب أن يسلكوا فيه (كولوسى ٢ : ٦) .

توافق المجتمع المسيحى :

أما داخل الكنيسة نفسها فقد سادت روح المحبة والتعاون المتبادل ، التى ظهرت لكل الناس ، رغم وجود الكثير من الاختلافات والصعوبات . ولأنهم كانوا يحيون فى المسيح فقد قادهم ذلك لأن يعيشوا معا فى روح التوافق التى يظهر فيها ثمر الروح القدس من : المحبة والفرح والسلام وطول الأناة (غل ٥ : ٢٢ و ٢٣) ، فلم يكن غريبا إذن أن يشهد لهم أحد الكتاب الوثنيين عندما رأهم يعيشون معا هكذا فيقول : « انظروا كم يحبون بعضهم البعض » .

المساواة فى المجتمع المسيحى :

أما بخصوص المراكز الاجتماعية للمسيحيين فيلوح أنهم جاءوا ،
ان لم يكن كلهم فمعظمهم ، من الطبقات الفقيرة العاملة : كالحرفيين مثل
الصباغ وصانع الخيام ، وبياعة الأرجوان ، والسجان والخدام بل
والعبيد كما يقول الرسول بولس : « ليس كثيرون حكماء ٠٠٠ ، ليس
كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء » (١ كورنثوس ١ : ٢٦) ٠

لكن الكنيسة اضيفت عليهم الاحترام رغم أن العمل اليدوى كان فى
ذلك الوقت محتقرا لدى الطبقات العليا من المجتمع ٠ أما داخل الكنيسة
نفسها فكانت كل الطبقات تجلس معا ، ومع أنه كان بينهم المثقف والغنى
الى حد ما ، الا أنهم جميعا اشتركوا فى حياة واحدة كتلاميذ للمسيح ٠
لقد نصح الرسول بولس السادة والعبيد أن يحتفظ كل منهم بوضعه
(١ كورنثوس ٧ : ٢٢ - ٢٤) ربما لأنهم كانوا ينتظرون سرعة المجيء
الثانى للرب الذى سوف يزيل تلك الفوارق ٠ أما فى رسالته الى فليمون
فانه ينصحه أن يقبل عبده الهارب أنسيمس كأخ لا كعبد ، ولكنه لا ينتهز
الفرصة ويهاجم نظام الرق ٠ ومع ذلك ففى أمور الكنيسة لم يكن هناك
تفريق بين دنيوى ومقدس ، بين رجل دين وعلمانى ٠ كانوا كلهم قديسين ،
كلهم أعضاء فى الجسد الواحد ، كلهم رعية الراعى الواحد ، كلهم عبيد
لسيد واحد ٠

Recommended English Readings

Chadwick, Henry The Early Church, PP. 18 - 23.

Davies, J. G. The Early Christian Church, PP. 41 - 67.

**Danielou - Marrou The Christian Centuries. Vol I.,
PP. 29 - 38.**

Filson, F. V. A New Testament History, PP. 197 - 291.

**Foster, John The First Advance
(Church History I, TEF Study Guide) PP. 35 - 40.**

**Latourette. K.S. A History of Christianity,
PP. 68 - 75, 114 - 116, 120 - 122.**

Lietzmann Hans A History of the Early Church, PP. 104-153.

**Walker, Williston A History of the Christian Church,
PP. 24 - 29.**

النصف الثانى من القرن الاول

المصادر المحدودة للمعلومات التاريخية :

هذه الحقبة هى أكثر الحقبات غموضا فى تاريخ الكنيسة . وهى تبدأ من الوقت الذى ينتهى به سجل سفر الأعمال ، اذ يتركنا مع الرسول بولس فى روما ، وتنتهى بانتهاء القرن الأول عندما بدأ الآباء الرسولين فى الكتابة . فقد مات الرسل الذين رأوا المسيح وعرفوه فى أيام جسده ، والمؤرخون خارج الكنيسة لا يعرفون الا القليل جدا عنها وعن عقائدها ، وحتى لو عرفوا عنها شيئا فانهم ما كانوا يعيرونها التفاتا لعدم أهميتها لهم . أما المؤرخ المسيحى الشهير يوسابيوس القيصرى (٢٦٠-٢٤٠ م) فقد كتب عن حياة الرسل فى كتابه « تاريخ الكنيسة » ، ولكنه اعتمد كثيرا على بعض الأساطير أو على تقاليد نسبت الى كتاب آخرين فى القرن الثانى . وفى تلك الحقبة كتبت بعض أسفار العهد الجديد وعلى الأخص الأناجيل والرسائل الرعوية ورسالة العبرانيين ويعقوب وسفر الرؤيا ، وفيها تظهر بعض المعلومات المتفرقة عن تقدم الكنيسة وامتدادها .

وعلى وجه العموم فكمية المعلومات التى يمكن أن نثق فيها عن هذه الحقبة تعتبر صغيرة جدا اذا قيست بالسجلات التى كتبت فى القرون اللاحقة . ومن هذه المعلومات أن الكنيسة كانت تنتشر بسرعة وخاصة بين الأمم واليهود اليونانيين ، وكذلك كانت القيادة فى الكنيسة ، مع أنه لم يتبلور شكل معين فى ادارة الكنيسة ، أما فى العبادة والتفكير اللاهوتى فقد بدأ الأمر يأخذ أنماطا محددة .

ولقد شهدت تلك الحقبة حوادث مهمة جديدة يمكن أن ندرسها عن طريق نسبتها الى عصور القياصرة المعروفين ، والجدول الآتى يعطينا

فكرة عامة ويساعدنا على تفهم المناقشات ما سيأتى :

الامبراطور	التاريخ	الحوادث
نيسرون	٥٤ - ٦٨ م	٦٤ م اضطهاد المسيحيين ٦٦ ثورة اليهود فى اليهودية
جاليا ، أوتو ، فتيليوس	٦٨ م	
فسباسيان	٦٩ - ٧٩ م	٧٠ سقوط أورشليم
تبطس	٧٩ - ٨١ م	
دوميتيان	٨١ - ٩٦ م	٩٥ م اضطهاد المسيحيين
نيرفا	٩٦ - ٩٨	
تراجان	٩٨ - ١١٧ م	امتدت الامبراطورية الى العربية وما بين النهرين
هادريان	١١٧ - ١٣٨ م	١٣٠ عاليا كابيتولينا بنيت على أنقاض أورشليم ١٣٠ - ١٣٥ ثورة باركوكبا فى أورشليم

(أ) مدى انتشار الكنيسة جغرافيا فى القرن الأول

عندما خرج الرسل والمبشرون من أورشليم الى الأمم ركزوا جهودهم بين اليهود اليونانيين . فذهبوا الى المراكز اليهودية ، عبدوا ووعظوا فى المساجد اليهودية ، وريحوا الكثيرين من هذه المجتمعات سواء من الذين ولدوا يهودا أو من الدخلاء أو من المتعاطفين مع الديانة اليهودية . ولذلك فلم يكن غريبا أن اعتبرت المسيحية لمدة طويلة جزءا من اليهودية ، واستمر المسيحيون يتمتعون بامتيازات اليهود ويقاسون الآهم فى الدولة الرومانية . ولكن الكنيسة لم تقف عند هذا الحد بل نمت وانتشرت وبدأت تشعر بشخصيتها المستقلة وارسالياتها . ولم ينته القرن الأول حتى صارت حركة لها استقلالها وطابعها المميز .

الكنيسة فى فلسطين وسوريا :

مر بنا من قبل أن كنيسة أورشليم كانت القاعدة القوية التى منها خرج الانجيل فى حركة سريعة الى السامرة وما بعدها . فكانت هناك كنائس فى قيصرية وفى الجليل . أما خارج حدود فلسطين فيذكر لوقا أن كنيسة كانت فى دمشق (أعمال ٩ : ١٩) . وأخرى مهمة فى أنطاكية (أعمال ١ : ٢٥ و ٢٦) ، بل سرعان ما فاقت كنيسة أورشليم نفسها فى الأهمية ، فهى الكنيسة التى جمعت بين اليهود والأمم يأكلون معا (وهو شئ لم يكن معروفا فى ذلك العصر) . ولقد حاولت كنيسة أورشليم فى السنوات الأولى لكنيسة أنطاكية أن تشرف عليها ، ولكن أنطاكية أعلنت استقلالها وشخصيتها عندما أرسلت شاول (بولس) وبرنابا الى الأمم .

الكنيسة فى مصر (المعروفة بكنيسة الاسكندرية) :

عرفنا أن المسيحية جاءت الى مصر بواسطة مرقس الرسول ، ولكن هناك اشارات تدل على أن المسيحية جاءت مبكرا اليها . ففي يوم الخميس كان هناك فى أورشليم يهود من مصر (أع ٢ : ١٠) وكذلك جاء من الاسكندرية أبولس الاسكندرى (أعمال ١٨ : ٢٤ - ٢٨) الذى غالباً ما عرف عن المسيحية فى مصر . وعندما انتشرت الثقافة الهلينية فى مصر الوثنية ، كان مركزها فى الاسكندرية ، مما جعل المناخ ملائماً جداً لتقبل المسيحية . ولا بد أن بعض المسيحيين الذين هربوا من اليهودية عندما قامت الثورة هناك اتجهوا الى مصر (٦٦ م) ، وأحضروا معهم ايمانهم الجديد الذى تمسكوا به . ومما يدلنا على أن الانجيل قد وجد طريقه مبكرا الى مصر ، هو أن الغنوسية بدأت فى مصر فى وقت لاحق .

الكنيسة فى آسيا الصغرى (وتعرف بكنيسة أنطاكية) :

تركز سجلات العهد الجديد على انطلاق المبشرين المسيحيين الأوائل، الى الشمال والغرب فذهبوا الى قبرص وآسيا الصغرى واليونان ومكدونية وروما . وهكذا يوجه سفر الرؤيا (فى أواخر القرن الأول) رسائله الى السبع الكنائس فى آسيا : فيلادلفيا ، لاودكية ، أفسس ، سميرنا ،

برغامس ، ثياتيرا ، ساردس (رؤيا ١ : ١١) . وفى هذه الرسائل يذكر شيئاً عن الاضطهادات . ولكنه يذكر أيضا كنائس مثل أفسس لم تكن مخلصه ، فهو يوبخها (رؤيا ٢ : ١ - ٣) ، وكنائس لم تقف موقفا حازما ضد الضلالات ، مثل أفسس وبرغامس وثياتيرا . وكنائس فاترة أو ميتة كساردس ولاودكية . ولكنه مدح كنائس أخرى لتمسكها بالايمان ، وهى سмирنا وفيلادلفيا (رؤيا ٢ ، ٣) . ومن الناحية الأخرى كتب أغناطيوس الأنطاكي أحد الآباء المعاصرين لكتابة سفر الرؤيا فذكر أفسس ومغنيسيا وتراليس وروما وفيلادلفيا وسميرنا ، وكان يحذر من خطر التهوديين والغنوسيين ويشجع المسيحيين على أن يثبتوا فى وجه الاضطهاد . ومن مثل هذا المكتوب الذى فيه يذكر اغناطيوس أسماء أخرى لكنائس أخرى ، نستنتج أن الكنيسة كانت تنتشر وتنمو بسرعة فى كافة الاتجاهات .

الاضطهاد فى بيثينيا :

فى عام ١١٢ م كتب بلنى حاكم بيثينيا يشكو الى الامبراطور تراجان فى روما من أن العبادة الوثنية قد أهملت نظرا لتأثير المسيحيين . ثم يصف له الجهود الضخم الذى بذله مع المسيحيين حتى يرجعوا لعبادة آلهة روما . ومع ذلك لا يذكر كم كان عدد المسيحيين ، ولكن لا بد أنهم كانوا من الكثرة بحيث كانوا تهديدا للديانة الرسمية(*) . وتقع بيثينيا هذه فى شمال آسيا الصغرى فى المنطقة التى تحيط بالقسطنطينية . ولا نقرأ فى أى سجل آخر عن وجود مسيحيين هناك . ولكن هذا الخطاب يؤكد انهم كانوا جماعة كبيرة ونامية وهذا يدل على أن الكنيسة فى شرق البحر الأبيض المتوسط كانت تنمو بسرعة .

(*) كان رد تراجان على بلنى : لا يمكن أن نضع قانونا عاما يمكن أن يكون صالحا لكل الحالات التى من هذا النوع . ولأجل ذلك لم يكن هناك قانون محدد لادانة المسيحيين . . . » ولكن اذا اتهم المسيحيون بجريمة محددة ويثبت عليهم الذنب حقا فليعطوا الفرصة لكى يتقربوا ويرجعوا لعبادة آلهتنا ولكن يجب ألا نطاردهم .

(Frennd, W, H. C. - Martyrdom and Persecution in the Early Church. P. 164.

الكنيسة فى رومه :

تنبع معرفتنا بكنيسة روما من الكتاب المقدس ، فلقد ظهرت فى الوجود قبل أن يذهب اليها الرسول بولس ، ولقد استقبله بعض أعضائها فى بوطيولى - بالقرب من نابولى عندما كان فى طريقه الى روما (أعمال ٢٨ : ١٤) . ويلوح أن بعضا آخر من الأعضاء لم يكن واثقا فيه حتى تقابلوا معه وسمعوه يعظ ، ومع ذلك استمر بعضهم فى شكهم فيه . وكانت الكنيسة تتألف من مسيحيين من أصل يهودى وآخرين من أصل أممى ، بل وكان هناك مؤمنون من بيت قيصر (فيلبى ٤ : ٢٢) وبين أفراد الحرس (فيلبى ١ : ١٣) . ويؤخذ أيضا من الرسالة الى فيلبى (ص ١) أن روما مثلها مثل كل كنيسة أخرى كانت تعاني من الانقسام فيها . بقى أن نذكر أن التقليد الذى يذكر أن الرسولين بولس وبطرس استشهدا فى مدينة روما فى عهد نيرون تؤيده كتابات الكتاب الأولين .

وهكذا يمكننا أن نقول بدون تردد ، ان الحركة المسيحية فى أواخر القرن الأول كانت قوية ، ومنتشرة بشكل واضح فى كل المراكز الكبرى فى الامبراطورية .

سقوط اورشليم والكنيسة « اليهودية » :

مر بنا أن المسيحيين تركوا مدينة اورشليم عندما بدأت ثورة اليهود عام ٦٦ م . ويقول يوسابيوس فى كتابه (التاريخ الكنسى الجزء الثانى ٢٣ : ١ - ٢٥) ان صوتا الهيا حذرهم من أن الثورة ستبدأ وأنهم يجب أن يلجأوا الى بيللا(*) ليحتموا فيها .

ويقولون (انظر :

The Fall of jerusalem & the christian church by S.C.F. Brandon

ان الحوادث التى جرت فيما بين ٦٠ — ٧٠ م كان لها أكبر الأثر فى الكنيسة المسيحية . فقبل ذلك كانت الكنيسة فى

* كانت بيللا احدى المدن العشر الهلينية . وتشير الحفريات أنها ظلت مركزا كبيرا للمسيحية الى أواخر القرن السادس الميلادى .

أورشليم هي المرجع في كل القرارات الكنسية ، فكانت الكنيسة « يهودية » بالهوية ، حتى الرسول بولس نفسه لم يستطع أن يتعامل مع قضية التهوديين الا بالرجوع الى أورشليم . ومع ذلك فقد ظلت هذه القضية سببا في خلق جو التوتر في الكنيسة حتى بعد مجمع أورشليم نفسه . ولهذا فقد تأثرت الكنيسة في كل العالم عندما سقطت أورشليم ، اذ لم يعد لها الأهمية ولا السلطان السابقان . ولكن هذا كان لخير الكنيسة نفسها ، فقد تحررت لتؤدي رسالتها اذ تحطمت قبضة التهوديين عنها ، وصارت الكنيسة ذاتها التي أرادها يسوع ، حرة لتقدم الانجيل لليهودى واليونانى للعبد والحر للذكر والأنثى في كل الأرض .

المسيحية اليهودية اللاحقة :

يستطيع الدارس أن يلمس أن انعزال الكنيسة في اليهودية بدأ يزداد سنة بعد سنة . فلم تستطع أن تتحلل من المطالبة بحفظ الناموس كشرط أساسى للانضمام اليها . وتذكر بعض السجلات اللاحقة أن هذه الكنيسة أو جزء منها قد تحول الى ما عرف بعد ذلك بالكنيسة الابيونية (Ebionite ، بمعنى فقير) وقد تغيرت عقيدتهم الأولى : فقد سموا أنفسهم مسيحيين مع أنهم أنكروا ميلاد المسيح العذراوى ، ولم يقبلوا الا انجيل متى من الأناجيل الأربعة ، وأنكروا بشدة كتابات الرسول بولس، وكانوا يولون وجوههم نحو أورشليم في صلاتهم . وفي كل الأشياء كانوا يتبعون حرفية الناموس الموسوى . وفي النهاية صارت هذه الاختلافات والانعزال والانغلاق سببا في زوال تلك الجماعة من الوجود .

(ب) المسيحية واليهودية في القرن الأول

وهنا يجب أن نلاحظ النمو المعاصر لليهودية . فالسجلات التاريخية تذكر أنها احتفظت بحيويتها الأصلية ، وردت على تحدى المسيحية لها بالانعزال عنها ، وتأكيد المميزات الأساسية لليهودية .

تزايد العداء اليهودي :

انخفض عدد اليهود في فلسطين انخفاضاً كبيراً بسبب المذبحة المروعة التي حدثت عند سقوط أورشليم عام ٧٠ م . أما يهود الشتات فقد كثر عددهم ، ونجحوا في البلاد التي سكنوا فيها ، وقد اشتهرت منهم شخصيات كثيرة في كل الامبراطورية مثل يوسيفوس المؤرخ الكبير (٣٧ - ١٠٠ م) . وكانت اليهودية ديانة قانونية في كل الامبراطورية (ولم تكن المسيحية كذلك) . حتى ان الرومان أطلقوا على غملائيل الثاني الزعيم الديني لقب « أمير اليهودية » . أما المسيحيون فقد ازدادت كراهية اليهود لهم فطردوهم من المجمع ثم كتبوا صلاة ضدهم ، يرددونها في عبادتهم . وبالطبع لم يكن ممكناً أن يردد المسيحي هذا الجزء في صلاته (١) . وفي عام ٩٠ م اتخذ اليهود خطوة أخرى باتخاذهم التوراة العبرية فقط كالكتاب المقدس لهم ، وتحلوا من النسخة السبعينية التي كان المسيحيون يستخدمونها في الكنيسة الأولى (٢) . وقيل أيضاً أن باركوكبا قائد الثورة اليهودية (١٣٢ - ١٣٥) كان يضطهد المسيحيين في كل فلسطين .

رد فعل المسيحيين ضد اليهود :

وكان رد فعل المسيحيين ضد اليهود هو الشك والخوف والكراهية ، وانعكس بعض هذا في العبارات القاسية التي تظهر في الكتابات المتأخرة في العهد الجديد ضد اليهود . فالرسالة الى تيطس تظهر أن اليهود مصدر

(١) هذه « الصلاة » كتبها « صموئيل هاكاتون » بأمر من غملائيل الثاني وكانت تسمى « بركات هامنيهم » (ضد الهرطقة) وتقول : لينقطع رجاء النمامين ، وليفن الأشرار في لحظة . لينقطع كل أعدائك . وأزل سريعاً المتكبرين وزعزعمهم وأسقطهم سريعاً في أيامنا . لتتبارك أنت يارب الذي تضرب أعداءنا وتذل المتكبرين - دائرة المعارف اليهودية ج ١١ ص ٢٧١ .

(٢) لأن المسيحيين اتخذوا السبعينية - وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم ، ككتابهم المقدس ، رفضها اليهود سنة ١٣٠ م حتى انفصلوا بتاتا عن المسيحية ، وعملوا ترجمة يونانية أخرى لليهود اليونانيين ج ١ ص ٥١١

(Interpreter's Dictionary of the Bible)

الفساد وتحذر المسيحيين ضد خرافاتهم (١ : ١٤ - ١٦) . وسفر الرؤيا يفرق بين اليهودى الحقيقى واليهودى الكاذب ويتكلم عن مجمع الشيطان (٢ : ٩ ، ٣ : ٩) . ورسالة برنابا (غير الكتابية) كانت ضد اليهود ، وكذلك أغناطيوس الذى كتب فى حوالى آخر القرن الأول قائلا: « انه من الجنون أن تتكلم عن المسيح يسوع ، وتكون فى نفس الوقت يهوديا » وهكذا اشترك الطرفان فى تعميق العداوة بين هاتين « الديانتين الشقيقتين » الى يومنا هذا .

ج - الايمان والنظام فى القرن الأول

الفكر اللاهوتى لكنيسة القرن الأول :

يتفق غالبية العلماء على أن الكنيسة كانت فى أيامها الأولى بدون « صياغات لاهوتية » . ومع ذلك فقد كانت كلمات المسيح وأعماله التى كان الرسل يعظون بها ويكررونها يوما بعد يوم ، هى التى تقدم للكنيسة الناشئة كل ما تحتاج اليه فى غذائها الروحى (*) ولكن سرعان ما ظهرت رسائل الرسول بولس التى امتلأت بصياغات الايمان ، وانتقلت من كنيسة الى أخرى ، وعملت منها نسخ متعددة وحفظت ، ولكن بسبب صعوبة المواصلات والاتصالات فى تلك العهود لم يكن ممكنا لكثير من الكنائس أن تقتنى كل هذه الرسائل .

أهمية العهد القديم فى الكنيسة الأولى :

ومن الأهمية بمكان أن يعرف الدارس أن الكنيسة - ولغتها الأساسية اليونانية - كانت تحتفظ بالترجمة السبعينية للعهد القديم فى العبادة والدراسة ، مما جعل الروابط اللاهوتية مع اليهودية تستمر قوية . ومما يؤكد أهمية العهد القديم للكنيسة ، أن مواظ بطرس واسطفانوس وبولس

(*) أما بالنسبة للأعضاء الأفراد فكان يكفى أن يكرر المؤمن قول الرسول بطرس: « أنت المسيح ابن الله الحى » (متى ١٦ : ١٦) .

المسجلة فى سفر أعمال مبنية عليه تماما . ويقول أكليمنس الرومانى فى رسالة معاصرة لتلك الحقبة ان الترجمة السبعينية هى الرمز أو المثال للكنيسة الرومانية . ولا بد أن هذا القول كان يعبر عن تفكير كنائس نشأت فى التربة الهلينية اليهودية .

الأنجيل والكنيسة الأولى :

كان لظهور الأنجيل الأربعة ، واحدا تلو الآخر ، أكبر الأثر فى تكوين التفكير اللاهوتى للكنيسة . فلقد شعرت الكنيسة أنه يجب أن يكون لها سجل خاص بها ، حيث أن الرسل الذين كانوا مع السيد بدأوا يموتون قبل أن يأتى المسيح ثانية . ولقد نسبت الأنجيل الى تواريخ متعددة ومختلفة لا يسعنا أن ندخل فى بحثها ، اذ ليس من هدف هذا الكتاب أن يدخل فى مناقشات العلماء بهذا الخصوص . ومع ذلك فيمكن أن يقال ان انجيل مرقس هو الذى ظهر أولا ، وكان ذلك بعد منتصف القرن الأول بقليل ، وتبعه انجيل لوقا وسفر الأعمال ، وبعد ذلك انجيل متى ، وآخر الكل ظهر انجيل يوحنا .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الوثائق الأولى كانت رسائل الرسول بولس، وقد ركزت أساسا على أمور لاهوتية وتعاليم خاصة بالسلوك الشخصى والأمور الدينية ، ولم يكن بها شيء يذكر عن حياة المسيح ، أو أية اقتباسات من تعليمه أو صلواته أو أمثاله . ومع أن التقليد الشفوى الذى كان يجمع كل هذه الأقوال كان محفوظا بعناية فائقة فى ذاكرة المؤمنين ، إلا أن الحاجة الى تدوينه بدأت تظهر بالحاح ، وبخاصة أثناء وجود الذين كانوا مع الرب فى أيام جسده . وهكذا ظهرت أربع قصص تاريخية مفصلة كتبها أربعة من الرجال ، كما فهموها واختبروها ، ثم نقلوا مفهومهم هذا عن المسيح الى الكنيسة . هذه الكتب الأربعة هى :

مرقس :

قصة دقيقة تنطلق الى الهدف مباشرة عن يسوع ابن الانسان .

لوقا - الأعمال :

موجهان الى جماعة المثقفين ، يمتلئان بالتفاصيل وينوهان بعمومية الانجيل ويساعدان الكنيسة على أن تحيا الحق الذى أعلن فى يسوع ، ثم تبشر به العالم .

متى :

قصة تربط حياة السيد وعمله بالعهد القديم والنبوات ، وتعطى العالم مجموعة من تعاليم يسوع وأعماله .

يوحنا :

يتكلم عن يسوع التاريخى بكيفية يفهمها اليهودى واليونانى . أما وصفه الدقيق لحياة يسوع البشرية ، وكيف كان يتعب ويعطش ويبكى ، فقد أصبحت هذه الحقائق سلاحا ذا قيمة بالغة فى وجه الغنوسية ، وهى الهرطقة التى ظهرت حالا بعد كتابة الانجيل . وكما قال البروفسور فيلسون (*) . « لقد كتبت الأناجيل لتعبر عن ايمان الكنيسة . ولتصبح لها وسيلة العبادة والكراسة والتعليم والدراسة . انها وثائق التاريخ . . . وثائق الايمان الذى نبع من حياة تاريخية فيها كان يعمل الله بطريقة فدائية فريدة » .

وكانت هناك « أناجيل أخرى » كانجيل الناصريين وانجيل الأبيونيين (الفقراء) ، وانجيل العبرانيين ، وانجيل المصريين ، وانجيل بطرس وغيرها مما كتب فى القرن الثانى الميلادى . ولكن الكنيسة فى ذلك الوقت، حكمت - بكل فطنة - بأن الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا هى وحدها التى تعطى القصة الصحيحة لحياة المسيح .

العبارات العقائدية الأولى :

وهكذا رأى المسيحيون فى القرن الأول أن الوثائق السالفة الذكر

(*) F. V. Filson : تاريخ العهد الجديد ص ٣٨٠ .

سى التى تستطيع أن تشبع حاجاتهم اللاهوتية • ويرى البعض أن الكنيسة فى السنوات اللاحقة كان يمكن لها أن تتجنب كثيرا من المناقشات والكفاح والمعارك لو أنها أدركت مثل الكنيسة الأولى كفاية هذه الوثائق ولم تبحث عن أخرى • ربما كان ذلك ، ولكن تغير الظروف ، وظهور شخصيات بارزة قد تطلب غير ذلك •

العبارات العقائدية فى العهد الجديد :

ولكن ليس معنى هذا أن الكنيسة الأولى لم تكن لها عقائد • بالعكس، فكل العناصر التى تكونت منها العقائد العظمى فى المسيحية بعد ذلك ، موجودة فى الكتب المقدسة • وتوجد عبارات مصوغة هى فى الحقيقة اقرارات ايمان مثلا : « المسيح رب » (١ كورنثوس ١٢ : ٣) • « ربنا ومسيحا » (أعمال ٢ : ٣٦) • « المسيح ابن الله الحى » (متى ١٦ : ١٦) • « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يوحنا ١ : ٢٩) ، « يسوع المسيح مخلصنا » (تيطس ١ : ٤) • والعبارة الرائعة عن اخلاء المسيح نفسه فى (فيلبى ٢ : ٥ - ١١) تعتبر من أعظم ما كتب فى اقرارات الايمان فى تاريخ الكنيسة • وهكذا وجدت تعاليم كثيرة متفرقة فى تلك الأيام الأولى للكنيسة ولكنها لم تكن قد جمعت بعد فى اقرارات منظمة رسمية تسمى « عقائد » •

العقائد فى كتاب تعليم الرسل : (Didache)

لا يوجد خارج الأناجيل أى نوع من العقائد الرسمية سوى فى كتاب « الديداك » (تعليم الرسل الاثنى عشر) ، الذى قد يرجع تاريخه الى نهاية القرن الأول الميلادى • وفى هذا الكتاب جاءت بعض التعاليم عن المعمودية : « أما بخصوص المعمودية فعمد بالكيفية التالية : بعد اتمام كل هذه الأمور، عمد باسم الآب والابن والروح القدس فى ماء جار • وان لم يتيسر لك الماء الجارى فعمد فى أى ماء ، واذا لم تستطع فى ماء بارد ، فعمد فى ماء ساخن ، واذا لم تجد ماء كافيا فاسكب الماء ثلاث مرات على الرأس فى اسم • • • وقبل المعمودية يجب أن يصوم المعمد والمعمد ومعهما آخرون ان أمكن ذلك » •

(اقتبسها من الديداك هنرى بيتنسون H. Bettenson ، وثائق الكنيسة المسيحية ، مطبعة أكسفورد ١٩٤٧ ص ٩٠) .

تحديات الهرطقة :

هناك أشياء أخرى لها صبغة لاهوتية هي الهرطقات . فقد مر بنا ذكر الصراع ضد التهوديين وضد النفوذ اليهودي عامة ، ولكن هناك شواهد تدل على أن الدوسيتية (*) (Docetism) بدأت تظهر في تعاليم بعض الغنوسيين . لاحظ العبارة في (٢ يوحنا ٧) « لأنه قد دخل الى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتيا في الجسد » . هذه التحديات أجبرت الكنيسة على أن تدرس وتحدد عقائدها ، حتى تفصل ما بين العقائد الصحيحة والباطلة .

المجيء الثانى :

وظهر أيضا تغير ملحوظ في موقف الكنيسة من مجيء المسيح الثانى . فبينما كان المسيحيون الأوائل واثقين أن المسيح سيرجع في أيامهم ، بدأ مؤمنو السنوات الأخيرة من القرن الأول ، يتقبلون حقيقة تأخير مجيء الرب ثانية الى وقت لا يعلمونه ، علما بأنهم لم يفقدوا الرجاء في هذا المجيء .

الوظائف الكنسية فى القرن الأول :

درسنا من قبل الأوضاع فى كنيسة العهد الجديد بالنسبة لإدارة شئون الكنيسة ، ولسنا صعبوبة تمييز وجود هيئات إدارية أو رتب دينية فى الكنيسة . ولعل أبرز مثال على ذلك الغموض هو استعمال الكلمة « أسقف » Episkopos مرادفة للكلمة « شيخ » Presbuteros لكى تعنيا شيئا واحدا أو وظيفة واحدة (أعمال ٢٠ : ١٧ و ٢٨ ، تيطس ١ : ٥ و ٧) . ففى تلك الأيام كان ينظر الى الأسقف على أنه « ناظر » أو كاهن ، ولكنه لم يكن يفوق الشيخ فى رتبته ، لأن هذا الأخير كان يخدم

(*) وهى الهرطقة التى تزعم أن جسد المسيح كان مظهرا فقط وليس حقيقيا . وهكذا صلبه وتألمه فى الظاهر فقط وليس حقيقيا .

الكنيسة بنفس الامكانية والدرجة . ومع ذلك ، فمن السهولة بمكان أن نفسر ظهور نظام كنسى أكثر تنظيماً ووضوحاً بعد أن اتسعت الكنيسة جغرافياً وتنوعت أنشطتها .

وقد استنتج المؤرخون من دراستهم أن دور الخدام المتجولين من الأنبياء والمعلمين المذكورين فى العهد الجديد (كورنثوس ١٢ : ٢٧ و ٢٨) قد بدأ يختفى بالتدريج ، وأن السلطة انتقلت الى أيدي السلطات المحلية من الأساقفة والشيوخ وبخاصة فى كنائس المدن الكبيرة (يذكر الديداك الأساقفة والأنبياء والمعلمين بدون تمييز بينهم) .

ولما كانت الكنيسة تتبنى نظام المجمع اليهودى ، كما فعلت فى أمور كثيرة أخرى ، فمن المعقول أن نفترض أن يتكون مجلس فى كل كنيسة من الأساقفة والشيوخ ، يختارون من بينهم رئيساً ، ولأسباب كثيرة نجهلها كانوا يسمون هذا الرئيس « أسقفا » .

أكليمندس الرومانى والخلافة الرسولية :

فى سنة ٩٥ م كتب أكليمندس الرومانى (١) رسالته الى كورنثوس وفيها ظهرت قضية الخلافة الرسولية بكل وضوح . ومع أنه لا يفرق بين الأساقفة والشيوخ ، ولكنه يبنى مناقشة على هذا المنطق : حيث أن الله أرسل المسيح والمسيح اختار الرسل ، والرسل اختاروا خلفاءهم من الشيوخ والأساقفة ، فان هؤلاء الخلفاء يستطيعون تعيين خلفاء لهم (بدلا من أن يختارهم الشعب) يستمرون فى المنصب كل حياتهم حيث أن هذا التعيين هبة من الروح القدس ، ولا يمكن أن تؤخذ هذه الهبة من هذا الشخص المعين . وبهذه الكيفية رسم أكليمندس الطريق التى سارت فيها الكنيسة بعد ذلك وهو فصل رجال الدين عن بقية أعضاء الكنيسة .

(١) اكليمندس هذا مؤلف رسالة من كنيسة روما الى كنيسة كورنثوس ، ولا يصرف عنه سوى أن إيريناوس كان يعتبره أسقفا لروما .

أغناطيوس (١) والأساقفة المكيون (٢) :

ولقد اتخذ الخطوة التالية أغناطيوس الأنطاكي في رسالته الموجهة الى كنائس آسيا . يقول في تلك الرسالة أن الكنيسة المحلية يجب أن يكون فيها أسقف واحد يشرف على أمورها ، ويبنى عقيدته هذه على أسس لاهوتية : « اتبعوا الأسقف كما اتبع يسوع المسيح الآب ، واتبعوا مجمع المشيخة كالرسل ، واحترموا الشمامسة كما تقول وصية الله . ولا يفعل أحد منكم أى أمر فى الكنيسة الا بموافقة الأسقف » (٢) .

هذه الرسائل تبين أن هناك ثلاثة أنواع من الخدمات : خدمة الأسقف والشيخ والشمامسة مرتبة ترتيبا تنازليا ، وصارت بالتالى السند الذى تستند عليه الكنيسة الكاثوليكية فى ترتيب كهنوتها .

لا يعرف بالضبط المدى الذى ذهبت اليه الكنيسة فى ذلك العصر فى الأخذ بنصيحة أغناطيوس . ومع ذلك فقد استحدث اتجاهها كان له الأثر البالغ فى نظام الكنيسة فى القرون اللاحقة ، وفى وقت قصير نسبيا بدأ هؤلاء الأساقفة يصبحون حكام الكنيسة فى كل المسيحية ، وصارت الخلافة الرسولية هى الأساس لكل سلطانهم فيها .

(١) اغناطيوس (٣٥ - ١٠٧) هو أحد الآباء الرسولين ، وأسقف أنطاكية ، واستشهد فى روما أبان حكم تراجان . وفى رحلته الى روما للاستشهاد تمكن من زيارة بعض الكنائس والمراكز المسيحية فى آسيا الصغرى . ومن سميرنا وترواس كتب خمس رسائل الى كنائس آسيوية ، وواحدة الى كنيسة رومية وأخرى الى بوليكاربوس أسقف سميرنا .

(The Westminster Dictionary of Church history P. 423)

(٢) هو تكوين أسقفى له السلطة العليا فى الكنيسة وعلى الأساقفة فى المراكز المسيحية الكبيرة وأنطاكية ، اسكندرية الخ (الأول بين متساويين ، أو ملكى) .

(٣) اغناطيوس رسالة سميرنا الاصحاح الثامن .

(د) - الاضطهاد المبكر

المسيحيون كجماعة مميزة عن اليهود :

واضح من سفر الأعمال أن الاضطهاد الأول الذى جاء على المسيحيين كان من اليهود . وكان من أبرز قادة الاضطهاد ، شاول الطرسوسى قبل تجديده . ولكن حالما انتشرت المسيحية ، عرفت السلطات الرومانية أن المسيحيين ليسوا شيعة يهودية ، ولا تنطبق عليهم المعاملات الخاصة التى كانوا يعاملون بها اليهود . وعندما سمى المسيحيون أنفسهم « اسرائيل الجديد » كانوا يحاولون أن يعترف بهم الرومان ويعاملونهم بالقبول الذى عومل به اليهود . ولكنهم اكتشفوا أخيرا أنهم لا يمكن أن يبقوا هكذا لأن هناك مميزات خاصة تميزهم عن اليهود . زد على ذلك أن اليهود أنفسهم وقد كانوا أكثر نفوذا من المسيحيين ، حاولوا جهدهم أن يتبرأوا منهم « كشعبة ضالة » .

أسباب الاضطهاد :

كان من الأسباب الأولية لاضطهاد الرومان للمسيحيين أن السلطات الرومانية لم تعرف بالضبط هدف الطقوس والعقائد المسيحية ، وثانيا لأنهم رأوا فى عدم عبادتهم للأباطرة خيانة للدولة ، فهذه العبادة هى الطريقة المثلى لتوحيد الامبراطورية المترامية الأطراف والغير المتجانسة ، لاحضاريا ولا دينيا ولا لغويا .

المسيحيون كأعداء للناس :

كان المسيحيون على وجه العموم من الطبقات الفقيرة التى لا نفوذ لها فى الطبقات العليا . كما كان تبشيرهم عثرة لمن كانوا يعبدون آلهة

(*) لقد سبق القول بأن الرومان كانوا متسامحين مع اليهود حتى فى تعصبهم كيهود ، فمثلا كان لليهود الحق القانونى فى أن يقتلوا أى انسان غير يهودى يتعدى دار الأمم فى الهيكل .

كثيرة ، كما أنهم هاجموا عبادة الامبراطور ، وأحيانا أضروا بالاقتصاد (كبولس وهو يضر بصناعة الفضة في أفسس (أعمال ١٩ : ٢٣ - ٢٥)) والى جانب ذلك لم تكن لهم أشياء ملموسة يمارسون بها عبادتهم ، فلا هياكل ولا مذابح أو أمكنة مقدسة ولا تماثيل . وأكثر من هذا كله كانت عبادتهم التى تجرى بالليل فى الأماكن المغلقة سببا لاثارة اشاعات ضارة ، فقالوا انهم يمارسون أكل لحوم البشر (cannibalism) ويقتلون الأطفال ويشربون الدم ، كما أن اجتماع الجنسين معا ، الرجال والنساء ، وقيامهم بالمقابلة المقدسة ، جعلهم يزعمون ان الجنس جزء من عبادتهم . وعلى هذا فقد نظر الناس اليهم كأعداء للناس .

المسيحيون يستعدون للاضطهاد :

تظهر فى بعض كتابات العهد الجديد شواهد تدل على أن المسيحيين كانوا يعرفون أن وقت التجربة قريب : فالرسول بولس يحث المؤمنين على أن يكونوا مواطنين صالحين مطيعين للحكام (تيطس ٣ : ١) . وينصحهم الرسول بطرس بأن يكرموا الملك ، كما يطلب منهم : « أن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكى يكونوا فى ما يفترون عليكم كفاعلى شر يمجدون الله فى يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التى يلاحظونها » (١ بطرس ٢ : ١٢) .

قد تكون هذه النصائح ردا على الاشاعات الكاذبة ضد المسيحيين ، ولكنهم مع ذلك كانوا موقنين من مجيء الاضطهاد عليهم ، فالشواهد على ذلك كانت متعددة ، اذ تقول رسالة بطرس : « أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم ٠٠٠ » (١ بطرس ٤ : ١٢) .

اضطهاد نيرون سنة ٦٤ م :

تعتبر وثيقة اضطهاد نيرون للمسيحيين أول اشارة تأتى من وسط غير مسيحي وفيها يظهر المسيحيون جماعة دينية قائمة بنفسها . أما ظروف الاضطهاد فكانت كالاتى : فى يوليو سنة ٦٤ م شب حريق هائل فى روما ظل ستة أيام ودمر الجزء الأكبر من تلك « المدينة الخالدة » . ولم يعرف

للآن بالضبط السبب الذى كان وراء ذلك الحريق ، ولكن الاشاعات بدأت تحوم حول الامبراطور نفسه الذى قيل انه كان يريد الاعداد لمشروع بناء ضخم . وكان من الطبيعى أن يجد نيرون كبشا للفداء يلقي عليه بالتهمة ، وفى هذا يقول المؤرخ الرومانى تاسيتوس (١١٥ م) : « لكى يتخلص الامبراطور من هذه الاشاعات ألقى بالتهمة (*) على جماعة من الناس مكروهة لأجل نجاستهم يطلق عليهم عادة اسم المسيحيين ، وأوقع بهم العقاب على هذه التهمة . وقد سموا كذلك نسبة للمسيح (Christus) الذى صلب على عهد بيلاطس البنطى . وبعد أن أوقفت - لحد ما - تلك الخرافة الشريرة ، بدأت تنتشر مرة أخرى ليس فى اليهودية فحسب بل فى روما أيضا . فألقى القبض على الذين اعترفوا بمسيحياتهم وبناء على شهادتهم أدينوا ، ليس لأنهم أحرقوا روما ، ولكن لأنهم كانوا مكروهين من الناس . ولم يكتف بقتلهم فقط بل استخدموا وسيلة لتسليّة أهل روما ، فالبسوا جلود حيوانات وحبسوا فى أقفاص الكلاب المتوحشة ففتكت بهم ، وصلب البعض ، وأحرق البعض ليضيئوا حدائق روما ليلا وقد فتح نيرون أبواب حدائقه ليرى الناس كل هذا واختلط هو بينهم فى ملابس سائق عربية . . . كل هذا التعذيب قاد كثيرين الى الشفقة عليهم . . . لأنهم عرفوا أن هؤلاء المساكين يعذبون لا للمصلحة العامة بل لاشباع شهوة القتل فى انسان واحد » (تاسيتوس : Annales XV ص ٤٤) .

دوميتيان :

كان اضطهاد نيرون للمسيحيين وحشيا ولكنه كان قاصرا على روما ، وكان لاشباع رغبة الامبراطور الدموية . ولم تكن هناك محاولة لتوسيع نطاقه ليصل الى المسيحيين فى كل الامبراطورية . ومع ذلك فقد بدأ الشك يحوم حول المسيحيين وبدأت العيون تراقبهم . وفى سنة ٩٥م ألقى الامبراطور دوميتيان القبض على ابن عمه وزوجته وشخص آخر بتهمة « انكار الآلهة » فأعدم الرجال ونفيت المرأة ، والمعتقد أنهم كانوا مسيحيين ، ولو أن السجلات لا تذكر ذلك بوضوح .

(*) الكلمة اللاتينية المستعملة تدل على أن تاسيتوس لم يعترف بأنهم مذنبون .

بلنى والاضطهاد فى بيثينية :

سبق أن ذكرنا شيئاً عن تلك الرسالة التى أرسلها بلنى الى تراجان سنة ١١٢م عن وجود مسيحيين فى بيثينية . ولقد اعتبر هذا الأمر فى غاية الخطورة لأن العبادة الوثنية قد أهملت ، مما سبب الفزع لبلنى فأرسل خطابا الى الامبراطور لكى يزكيه فى سياسته ضد المسيحيين . وقد قال فى هذه الرسالة : « ان شر هذه الخرافات قد انتشر ليس فى المدن فقط ، بل فى القرى والمناطق الريفية أيضا حتى أن المعابد قد خلت من العابدين » وقد كنت أسأل المتهمين : « هل أنتم مسيحيون ؟ » فإذا قالوا « نعم » كنت احذرهم وأسألهم مرة ثانية وثالثة فإذا قالوا « نعم » حكمت عليهم بالاعدام وأعدمتهم . أما كل من أنكروا أنهم مسيحيون أو أنهم كانوا كذلك ، أفرجت عنهم لأنهم دعوا باسم الالهة كما أمرتهم وأظهروا الخشوع والاحترام لحسورتكم وقدموا لها البخور ، ولأنهم لعنوا المسيح ، وهذا شيء لا يستطيع المسيحى الحقيقى أن يفعله . . . وقد فكرت أنه من الضرورى أن أصل الى الحقيقة وذلك بتعذيب اثنين من الشماسات، ولكنى لم أجد شيئاً الا الخرافات المروعة المقوتة » .

ويقول بلنى بعد ذلك أن أسلوبه هذا قد لاقى نجاحا ، فكثيرون من المسيحيين قد رجعوا لعبادتهم القديمة وبدأت المعابد تمتلئ مرة أخرى . وقد أجاب عليه تراجان بالموافقة على سياسته ولكنه نصحه ألا يتصيد المسيحيين بل يحاكمهم فقط اذا أبلغ عنهم وثبتت عليهم التهمة .

استشهاد اغناطيوس :

من الشواهد السابقة تظهر المسيحية كمشكلة محلية عند الرومانيين، ولم تكن هناك سياسة عامة للقضاء عليهم على مستوى الامبراطورية . ولكن هذا أدى ، بدون شك ، الى أن يصبح المسيحيون موضوعا للشك . وكل مسيحى يعلن بكل صراحة أنه كذلك كان يلقى عذابا قاسيا . ولعل اغناطيوس الأنطاكى هو خير مثال على ذلك . وقد كتب عدة رسائل وهو فى طريقه الى روما لكى يستشهد سنة ١٠٧ م ، وأظهر فيها رغبته العارمه فى الاستشهاد ، وفى أن تمزقه الوحوش من أجل المسيح ، ويود ألا يتدخل المسيحيون فى روما لدى السلطات لانقاذه . وهذا مثال على « شهوة

الاستشهاد « التى تملك بعض المسيحيين فى ذلك الوقت فعملوا بكل همة
- بدون داع - على دفع السلطات لقتلهم لكى يموتوا شهداء • وفى ذلك
يكتب اغناطيوس •

« اننى أعرف ما هو الخير لى •••
لقد بدأت الآن أن أكون تلميذا حقيقيا •••
لتأت النيران أو الصليب أو لتأت الوحوش فتحطم كل جسدى •••
فقط دعنى أذهب الى يسوع المسيح •••
دعنى أتمثل بالهى فى آلامه » (الرسالة الى رومية : ٥)

الاضطهاد كما هو مدون فى سفر الرؤيا :

فسر العلماء بعض الأجزاء من سفر الرؤيا على أنه نبوة عن التهديد
الرومانى باثارة الاضطهاد ، والخوف الذى تملك المسيحيين فى نهاية
القرن الأول • ومع أن روما لم تذكر بالاسم فى السفر ، ولكن ربما فهم
ذلك من صورة المرأة الجالسة على الوحش « على جبهتها اسم مكتوب سر
« بابل » العظيمة (وهو اسم يطلق على روما) أم الزوانى ورجاسات
الأرض ورأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع
(رؤيا ١٧ : ٣ - ٦) • والصورة الثانية التى قد تعنى روما هى صورة
الوحش ذى الرؤوس السبعة ، فقد بنيت المدينة على سبعة تلال • وهكذا
عرفت الكنيسة واستعدت لمواجهة الاضطهاد وجهزت أعضائها ليقابلوا
هذه الآلام بكل بسالة وشجاعة •

سياسة هادريان : (Hadrian)

ومع ذلك كله فقد كان الرومان يهتمون بنشر النظام والقانون •
ومع أنهم كانوا ينزلون بالمجرمين أقصى أنواع العقاب ، الا أنهم لم ينسوا
أن يجعلوا القانون يأخذ مجراه • ولذلك حتم الامبراطور هادريان
(سنة ١٢٥ م) على حكام الأقاليم ألا يوجهوا الى المسيحيين الا التهم
الحقيقية وأن يعطوهم الحق فى الدفاع عن أنفسهم لكى يظهروا الاتهامات
الكاذبة • ومع أنه لا يظهر من السجلات أن مسيحيا واحدا تمكن من دفع
التهمة عن نفسه ولكن على الأقل ، بدأ الحكام يسمعون دفاعهم عن أنفسهم
فى وقت لم يكونوا فيه أعضاء فى ديانة معترف بها فى الامبراطورية •

Recommended English Readings

Danielou - Marrou. The Christian Centuries, Volume I.

The First Six Hundred Years, pp. 81 - 85.

Filson, F. V. A New Testament History, pp. 295 - 380.

Foster, John The First Advance - Church History I.

TEF Study Guide, 5, pp. 66 - 74.

Frend, W. H. C. The Early Church, PP. 40 - 59.

Latourette, K. S. A History of Christianity, pp. 74, 75, 80 - 86.

**Leitzmann, Hans A History of the Early Church, Vol. 1,
pp. 177 - 236 - 249**

**McGiffert, A. C. A History of Christian Thought, Vol. I,
pp. 30 - 44 - 67 - 95.**

القرن الثانى

- ① المدافعون
- ② هراطقة القرن الثانى
- ③ الاضطهاد فى القرن الثانى
- ④ إيرينا يوس
- ⑤ الربع الأخير من القرن الثانى
امتداد الكنيسة فى الامبراطورية
- ⑥ الخدمة الكنب القانونية
العقيدة

الأخطار التي أحاطت بالمسيحيين في الامبراطورية :

لقد بدأ الاضطهاد المنظم الرسمي ضد المسيحيين في القرن الثالث الميلادي ، ومع ذلك فلم يكن هناك وقت قبل ذلك لم يواجهوا فيه بالشك والسب والاحتقار والأخطار الجسدية من الغالبية الساحقة في الامبراطورية الرومانية . وكانت هذه العداوة تبنى على شيء من الحقيقة ولكنها في غالب الأحيان كانت شائعات كاذبة ضدهم ، مثل اتهامهم زورا بأنهم يقومون بطقوس سرية وخاصة جدا ، وبأعمال منافية للأخلاق ، وأنهم ملحدون (لأنهم كانوا ينكرون الالهة الوثنية) ويتمسكون بعقائد خرافية لا يقبلها العقل ، ولا يخلصون للامبراطور .

ومن المحتمل أيضا أن يكون الرومان قد خلطوا بين انتظار المسيحيين القوى لمجيء المسيح وبين عقائد الغيورين اليهود في انتهاء العالم (وفي ذلك يتشابه سفر الرؤيا مع سفر عزرا الرابع من الكتابات اليهودية) وكان اليهود والمسيحيون معا يرهبون روما لأن حكومتها كانت حازمة وقاسية في ضرب كل نشاط يهدد أو يبدو أنه يهدد النظام العام .

والحقيقة أن المسيحيين صاروا عرضة للاضطهاد لأنهم كانوا فريسة سهلة لا يدافع عنهم أحد . وكانت الكنيسة لا تزال منظمة سرية . وكان المسيحيون أقلية ضئيلة في المجتمع كله ، ولم يحن الوقت الذي فيه يعتبرون تهديدا خطيرا . كانوا معروفين ولكنهم محتقرون ، ولهذا كانوا من أوائل الناس الذين يلقي بهم للوحوش المفترسة أو النيران الملتهبة لكي يتسلى الجمهور بمنظرهم وذلك في أيام الأعياد العامة ارضاء للجمهور .

(١) المدافعون كحماة للعقيدة :

فى ذلك الوقت بالذات ارتفعت أصوات من المجتمع المسيحى لتدافع عن المسيحيين كمجتمع وكأفراد . وعرف هؤلاء الرجال باسم « المدافعين » لأنهم كتبوا رسائل أو خطابات مفتوحة الى الأباطرة ليشرحوا لهم ماهية المسيحية ويدافعوا عنها ، وحاولوا كل جهدهم أن يوجدوا مكانا للمسيحية وسط المجتمع وأن يكسبوا لها الاحترام والتسامح الدينى بانين ذلك على ما يأتى : ان المسيحيين يقبلون العالم الذى يعيشون فيه ولا يختلفون فى عاداتهم وحياتهم اليومية عن بقية الناس ، بل هم فى الحقيقة مواطنون أكثر اخلاصا للامبراطورية من الآخرين ، لأنهم مسيحيون . وهكذا خطا المدافعون المسيحيون بالفكر المسيحى خطوة الى الأمام من حيث أنهم بينوا أن هناك بعضا من التوافق بين الفكرين المسيحى واليونانى . وكان هدفهم الأساسى من ذلك أن يظهروا أن المسيحيين هم فى الحقيقة الورثة للحضارة الرومانية اليونانية لأنهم يتمسكون بالمثل اليونانية أو يحققونها جيدا .

المدافعون العظام :

كان جاستن مارتر (Justin Martyr) (١٠٠ - ١٦٥) من أشهر المدافعين (وسندرس أفكاره فيما بعد) ولكن الى جانبه كان هناك جماعة آخرون يستحقون الذكر لعظمتهم ، فقد كتب كوادراتوس (Quadratus من أثينا ؟) الى الامبراطور هادريان سنة ١٣٠ م ، ثم ارستيدس (Aristides من أثينا) سنة ١٤٠ م الى الامبراطور أنطونيوس بيوس مبرهنا على سمو المسيحية على اليهودية وكل الديانات الأممية . ثم تاتيان (Tatian السريانى ١١٠ - ١٧٢) وهو تلميذ لجاستن ، وقد ألف خطابا الى اليونانيين سنة ١٦٠ هاجم فيه الفلسفة اليونانية وحاول أن يثبت أن المسيحية هى الفلسفة الصحيحة الوحيدة . ثم ميليتو (Melito من ساردس وقد توفى سنة ١٨٠ م) كتب سنة ١٧٦ الى الامبراطور مرقس أوريليوس قائلا أن المسيحية التى نبتت بين البرابرة ازهرت وأثمرت فى وسط الامبراطورية . ثم أنتناجوراس (من أثينا) كتب فى سنة ١٨٠ م الى نفس الامبراطور السابق ليبرهن له عقليا على خلود النفس .

(ب) جاستن مارتر : (Justin Martyr)

عاش جاستن مارتر فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى .
فقد ولد من والدين غير مسيحيين فى بلدة شكيم بالسامرة ، ولكنه انتقل
فى صغره الى أفسس وعاش فيها ودرس الفلسفة اليونانية دراسة عميقة ،
وصار محبا لفلسفة أفلاطون ، ولكنه كان يقرأ أيضا التوراة العبرية .
ولقد وجد فى دراسة الأنبياء أن « تفسيرهم لبداية ونهاية الأشياء هو
أقدم وأصدق تفسير ، فلقد كانوا مملوئين بالروح القدس فمجدوا الله الخالق
والآب لكل الأشياء ، وأعلنوا ابنه المسيح . . . وسرعان ما اشتعلت روحى
بلهب المحبة لأولئك الأنبياء والرجال الذين كانوا أصدقاء للمسيح . . .
فوجدت أن هذه الفلسفة وحدها هى النافعة والآمنة » (*)

وهكذا صار جاستن مارتر مسيحيا من خلال دراسته للفلسفة ، ثم
ذهب بعد ذلك الى روما حيث مات شهيدا سنة ١٦٥ م ، وأشهر مؤلفاته
هى : الدفاع ١ و ٢ وقد كتبه سنة ١٥٣ م الى الامبراطور أنطونيوس بيوس
ليدافع عن المسيحية ويقدمها الى الحكام . الحوار مع تريفو اليهودى ،
وقد كتب جاستن مارتر اليه ليثبت له أن المسيحية حلت محل اليهودية .

دفاع جاستن عن المسيحية :

يجدر أن نذكر شيئا عن دفاع جاستن عن المسيحية فى كتابه الى
الامبراطور . لقد اعتبر نفسه فيلسوفا ولذلك بين أن المسيحية قريبة من
الفلسفة اليونانية . واعتقد أن كل فلسفة وكل ديانة يجب أن تبرهن نفسها
برهنة عقلية ، وأعظم ما ينطبق عليها البرهان العقلى انطباقا كاملا هى
المسيحية . وهكذا وضع لكل من لحقوه من المفكرين المسيحيين منهاجا
عقليا للمسيحية حتى يستطيعوا أن يشرحوا ديانتهم فى عبارات معقولة
منطقية متوازنة . وعلى هذا الأساس أعلن للامبراطور أن كل المسيحيين
فلاسفة بالحق ويستحقون أن يعاملوا معاملة الفلاسفة الآخرين باحترام
وتقدير على غير ما كانوا يلقبون من معاملة الدولة لهم ، فقد امتلأت من
نحوهم بالغضب الغير المعقول ، ولذلك لم تكن عادلة معهم .

(Dialogue with Trypho)

(*) مقتبسة من « حوار مع تريفو »

لجاستن مارتر .

ويستمر جاستن في دفاعه فيقول : ان الأباطرة يكرمون التقوى والعقل ، فلماذا لم يستحسنوا هذه الفضائل في المسيحيين ؟ ان هؤلاء المسيحيين على عكس ما يشاع بالكذب عنهم ، هم أسمى الناس أخلاقا في الامبراطورية ، فاذا حدث أن عصى بعض المسيحيين قانون الدولة فليعاقبوا بحسب هذا القانون عينه ، ولكن يجب ألا يعاقب شخص لمجرد أنه مسيحي . لقد اتهموا المسيحيين بالالحاد ، ولم يكن ذلك الا لأنهم أنكروا الآلهة الوثنية ، أو لأنهم يعبدون الاله الواحد الحق . ولأنهم يؤمنون بالله فانهم يسلكون بكل فضيلة كمواطنين صالحين يدفعون الضرائب ويخدمون الدولة بكل الطرق الممكنة بل انهم يصلون من أجل الامبراطور .

جاستن ولاهوت الكلمة :

ولكى يدافع جاستن عن المسيحية فانه اتخذ واحدا من عناصر الفلسفة الأفلاطونية وطوره وجعله عنصرا مسيحيا ترك أثره على كل الأجيال المقبلة . هذا العنصر أو الفكرة سميت عقيدة المسيح ككلمة (Logos Christology) أو « لاهوت الكلمة » (Logos Theology) . ولكن « لاهوت الكلمة » لم يأت أولا في كتابات جاستن لأن العهد الجديد سبقه في ذلك في انجيل يوحنا « في البدء كان الكلمة » (يوحنا ١ : ١ - ٥) .

يقول جاستن ان الانسان يحتاج الى اعلان أسمى من ملكاته العقلية حتى يستطيع أن يجعل فلسفته كاملة ، فالفلاسفة الحقيقيون هم جماعة مستعدون لأن يموتوا من أجل الحق ، وهذا ما يجعلهم نوعا من المسيحيين الى حد ما . وكل من عاش « حياة عقلية » وكان فيه الإلهام الإلهي (الكلمة) كسقراط وهيركليتس مثلا ، كانوا مسيحيين . فالمسيح هو الفيلسوف الكامل لأن « الكلمة » أو الإلهام الإلهي حل فيه بكل كماله وسموه . « فالكلمة » كله من أجلنا صار المسيح جسدا وعقلا وروحا(*) . ولم يكن هدف جاستن من ذلك تعظيم الفلسفة اليونانية بقدر ما كان يريد أن يبين مدى سلطة وأهمية المسيح .

ولكن جاستن طبق « لاهوت الكلمة » في اتجاهات متعددة بدون تمييز : فهو القوة التي عمل بها اله العبرانيين السماء والأرض ، وهو

(*) من دفاع جاستن مارتر .

الواسطة الالهية فى تاريخ الاعلان ، وهو العقل العام الذى قامت عليه الفلسفة الرواقية والأفلاطونية ، انه الحق الذى يعلن نفسه فى قلب كل انسان كحقيقة مطلقة ، ولكنه فى الأساس هو يسوع المسيح الناصرى . هذا هو مفهوم « اللوجوس » الذى شغل المركز الأول فى فلسفة جاستن وغيره ممن لحقوه .

(ج) قيمة المدافعين :

هؤلاء الرجال الذين نسميهم « بالمدافعين » لم يكونوا مدرسة لاهوتية ، ولكنهم كانوا أصواتا منفردة ارتفعت ابان القرن الثانى المسيحى للدفاع عن الكنيسة فى وقت الشدة والاضطراب . وبذلك فهم يمثلون اتجاهها حيا فعلا فى التفكير المسيحى . فقد نبهوا الحكام الذين فى روما الى وجود الكنيسة بواسطة دعواهم القوية عندما كانوا يدافعون عنها . انهم لم يطلبوا التسامح الدينى فقط بل أظهروا التحالف بين المسيحية والفلسفة ، أو بالأحرى الكنيسة والامبراطورية ، ولكن أكثر من كل ذلك « فان المدافعين أخذوا خطوة حاسمة نحو فتح العالم بواسطة المسيحية . لقد استخدموا روح العلم اليونانى لكى يساند رسالة الكنيسة (*) » .

(د) المدافعون وكتاباتهم المعروفة :

كوادراتس	Quadratus	: الدفاع .
جاستن مارتر	Justin Martyr	: الدفاع ١ و ٢ ، وحوار مع تريفو .
أريستيدس	Aristides	: الدفاع .
تاتيان	Tatian	: عن الحيوان (فقد) ، خطاب ضد اليونان ، الدياتسارون (توافق الأناجيل) ، الكمال بحسب المخلص (فقد) .
ميليتو		: الدفاع ، عظة الفصح ، المعمودية .
أثينا جورس		: الدفاع ، عن قيامة الجسد .

Lietzmann. Hans, A History of the Early Church

جزء ٢ ص ١٧٧ .

Recommended English Readings

**Carrington, Philip, The Early Christian Church,
Vol, II. pp. 189 - 221.**

**Danielou, Jean and Marrou, Henri, The Christian Centuries.
Vol. I, The First Six Hundred Years, pp. 81 - 95.**

Frend, W. H. C. The Early Church, pp. 72 - 77.

**Lietzmann, Hans, A History or the Early Church, Vol. II.
pp. 173 - 188.**

**McGiffert, A. C. A History of Christian Thought.
Vol.I. pp. 96 - 131.**

**Walker, Williston, A History of the Christian Church,
pp. 45 - 47.**

ثانيا - هرطقة القرن الثاني

١ - عصر الهرطقات

يقولون ان عصر الامبراطور هادريان Hadrian (١١٧-١٣٨ م) هو العصر الذهبي للهرطقات، ففي تلك الفترة ظهرت داخل الكنيسة وخارجها بعض الاتجاهات الخاصة التي شكلت تحديا خطيرا للعقائد المسيحية وللسلام في الكنيسة . فمن الناحية الأولى ، حدث فراغ في حياة الكنيسة باختفاء الرسل فافتقدت حضورهم المؤثر روحيا وكنسيا . نعم كانت هناك كتاباتهم، ولكن هذه لم تكن وحدها ، فقد كانت هناك كتابات أخرى زعمت بأنها مسيحية ، ولم يكن في تلك الفترة أصوات المدافعين .

ولا عجب اذا أن ظهرت بدع ومبتدعون يخلطون أراءهم الهرطوقية بالفكر المسيحي ، ولعل القديس لوقا كان يشير الى ذلك عندما يكتب عن لسان الرسول بولس قائلا : « سيدخل بينكم نئاب خاطفة لا تشفق على الرعية » (١ ع ٢٠ : ٢٩) .

ب - الدوسيتية (Docetism)

وكانت الدوسيتية واحدة من تلك الهرطقات المبكرة (وهي تأتي من الكلمة Dokeo ومعناها يظهر) ونادت هذه البدعة بأن المسيح لم يكن بشرا حقيقيا ولكنه بدا كذلك . وقد جاء هذا المفهوم من التراث الفلسفي اليوناني والشرقي الذي نفر بشدة من فكرة أن الاله قد يختلط بالعالم المادي بأية كيفية .

ولهذا فالمسيح - كما يقول هؤلاء - ظهر لتلاميذه كأن له عظام ولحم ، كأنه يجوع ويعطش ، يشعر بالألم والحزن ، وهو لم يكن كذلك .
ويقول بعضهم ان الذى صلب بدلا عن المسيح هو سمعان القيروانى .

ج - الغنوسية (Gnosticism)

١ - أصل الغنوسية :

كانت هذه الفلسفة العجيبة المسماة بالغنوسية هى أهم ما تحدى الكنيسة من هرطقات . والغموض يحيط بكيفية ظهورها . ففيها عناصر من الفكر الفارسى والمصرى والأفلاطونى ، فكانت بذلك فلسفة تركيبية (Syncretistic) تنبع من مصادر كثيرة . ظهرت الغنوسية قبل المسيحية ومنفصلة عنها ، ومن الصعوبة بمكان أن نصفها نظرا لكثرة التفاسير التى وضعت لها ، ولكثرة الصور التى ظهرت فيها . ولقد كانت معرفتنا بالفلسفة الغنوسية ، الى عدة سنوات قليلة مضت ، مشتقة من كتابات المفكرين المسيحيين عنها من أمثال جاستن وايريناىوس (Ireneaus) اللذين هاجماها . أما الآن أصبحت فى أيدينا كتابات الغنوسيين الأصلية بعد اكتشاف المخطوطات الغنوسية الكثيرة فى نجع حمادى سنة ١٩٤٥م التى حفظت ورممت وترجمت وأعدت للنشر فى المتحف القبطى بالقاهرة . وبعض هذه الكتابات أصبحت فى متناول اليد وسنقتبس منها فيما يلى .

٢ - تعاليم الغنوسية :

يمكن تلخيص تعاليم الغنوسية فى عدة جمل : فهى فلسفة ثنائية تقول ان العالم الملموس المادى شر ولا يمكن أن يكون الله هو خالقه ، بل خلقته كائنات أقل مركزا تسمى « ديمارج » (Demi - urge) أما الله فهو يحيا منفصلا انفصالا تاما عن العالم المادى الشرير ويسكن فى عالم الروح النورانى . أما خلاص الانسان فهو بهروب الانسان من العالم المادى الى عالم الروح بواسطة المعرفة التى لا يمكن أن ينالها الانسان الا عن طريق معجزى ، يعطيها رسول الى جماعة لها وعى روحى .

٣ - أمثلة من الفكر الغنوسى :

الغنوسية المصرية :

هناك عناصر غنوسية يمكن أن تدرك بسهولة فى أساطير مصر القديمة ، وفى هذا المجال يجدر بنا أن نقتبس مما كتبه جاك شامبليون (J. Champollion) فى كتابه « عالم المصريين ص ٦٤ » حيث يقول: « بناء على التاريخ المقدس لمصر فان توت (Thoth) ٠٠٠ هو الذى كتب كل الكتب بأمر من الله ٠٠٠ وتوت الأول هذا هو العقل الالهى المتجسد ٠٠٠ هو الشخص الأوحد بين الكائنات الالهية الذى استطاع أن يفهم جوهر الله ٠ وتقول هذه الأساطير المقدسة المصرية أن توت قد سجل هذه المعرفة الجليلة فى كتب بقيت غير معروفة الى أن خلقت الديمرج (الكائنات الأقل مرتبة) أرواح البشر ٠٠٠ والعالم المادى ٠٠٠ وقد كتبها توت فى لغة مقدسة ، ٠٠٠ ولكن بعد أن حدثت الفوضى عندما انتظم العالم المادى الشرير ٠٠٠ أشفق الله على الناس لأنهم كانوا يحيون بلا شرائع ، ويحتاجون الى القوانين فأعطاهم الذكاء ٠٠٠ حتى يتبعوا الطريق الذى يقودهم الى حضنه ٠٠ » .

الغنوسية اليونانية :

وهاك أيضا اقتباسا آخر من كتابات راعى هرمس ، كتبها شخص يدعى بويماندرس لكى يصف هروب الروح البشرية من العالم المادى الى عالم الروح النقى : « أولا بتحلل الجسد المادى ٠٠٠ فيختفى الشكل الظاهرى الذى نراه فيه الآن ، فتذهب الحواس الجسدية الى مصادرها ٠ فيذهب الجسد والشهوة الى الطبيعة الغير العاقلة ، وعندئذ يطير الانسان الى أعلى عبر السبع السموات المتوافقة :

- « فى المنطقة الأولى يتخلى عن قوة النمو والنقصان ٠
- وفى الثانية يهجر الحيل الشريرة ٠
- أما فى الثالثة فيبطل خداع الشهوة ٠
- وفى الرابعة تكف الرغبة فى اظهار العضلات والقوة ٠
- وفى الخامسة بترك التهور الشرير وطرقه الظالمة ٠

وفى السادسة تصبح الأساليب الشريرة لاكتساب المال عديمة الجدوى .

وفى السابعة يهجر الانسان شرك الكذب .

« وعندما يقف عاريا من كل ذلك يلبس الطبيعة (الكاملة) ويمتلك قوته هو ، وسيغنى حمدا للآب مع كل الموجودين (الكائنات الصادقة الغير المتغيرة) . وسوف يصعد كل هؤلاء الى الآب مرتبة بعد مرتبة . . . وعندما يصبحون سيادات ، يصبحون إله نفسة الذى هو هدف كل من يمتلك المعرفة gnosis ايمانهم يصبحون آلهة (*) .

الغنوسية والمسيحية :

أما كيف أثرت الغنوسية فى المسيحية ، فهذا سؤال لا يمكن الاجابة عليه اجابة شافية . فلربما أصبح المسيحيون مهتمين بالغنوسية ، وربما اهتم الغنوسيون بالمسيحية ، فهناك تشابه بين الاثنتين فى مواطن كثيرة سنكشفها فيما يلى :

التأثير الغنوسى فى اليهود :

هناك شواهد تدل على أن الغنوسية كان لها تأثيرها فى المجتمع اليهودى . فبعض اليهود هجروا العهد القديم واله العهد القديم ، بعد فشل ثورة بار كوكبا فى سنة ١٣٥ م ، لأنهم ظنوه قد فشل فى أن يأتى بالعصر الجديد ، وبدأوا يفتشون عن اله كامل يحيا بعيدا عن العالم المادى . ويبدو أنه قد تأثر بهذا النوع من التفكير المجتمعات « المسيحية اليهودية » فى فلسطين وشرق الأردن ، وهم الذين كانوا يتمسكون بالممارسات اليهودية ، ومع ذلك فلهم مسيحيتهم الخاصة بهم ، ومنهم من وصل به الاعتقاد أنه لم يكن من اللائق بالله أن يخلص هذا العالم الشرير .

سيمون المجوسى أو الساحر :

يقول آباء الكنيسة ان أول مسيحي غنوسى هو سيمون الساحر الذى

(*) اقتبست من هـ . س . كى : أصول المسيحية ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

Kee. H. C., The Origins of Christianity pp. 242 - 243.

من السامرة والذي أراد أن يشتري قوة الروح القدس من بطرس ويوحنا (أعمال ٨ : ٩ - ٢٤) . ومع أن العهد الجديد لا يذكر شيئاً عنه ، إلا أن خرافات كثيرة ارتبطت باسمه . ويذكر جاستن مارتير أن « كل السامريين تقريباً يمجّدون سيمون الساحر ويعتقدون أنه هو الله وأنه مرتبط بما يسمى « هيلن » (Helen) وهي « فكرة الأول » (الدفاع ١ : ٢٦) . ويقول جاستن أيضاً أن سيمون أعلن نفسه بأنه « القوة العظمى » واستخدم قوته السحرية بطرق كثيرة ولكن كانت هزيمته على يدى الرسول بطرس الذى أهدر مركزه فى روما .

ولقد قيل انه اذا لم يكن سيمون الساحر نفسه غنوسيا فمن المؤكد أن تلاميذه كانوا كذلك . فمثلا يقول اريناويوس عن شخص اسمه ميناندر الأنطاكى (Menander) « ادعى ميناندر أنه هو المخلص الذى أرسله العالم العلوى الغير المنظور ليخلص الناس (ضد الهرطقة الجزء الأول ٢٣ : ٨) .

دعوة الغنوسية :

من السهولة بمكان أن نعرف ماذا كان يجذب المسيحيين الى الغنوسية . فهذه الأخيرة كانت فى حقيقتها ديانة مع أنها كانت تستخدم أسلحة الفلسفة . وكما يقول ماكجفرت : « يوجد فى تعاليم الغنوسية بعض التشابه مع تعاليم بولس ويوحنا وحتى مع بعض أقوال يسوع نفسه وثنائيتهم وجدت سنداً فى تعليم بولس عن الروح والجسد وعقيدة الدوسيتية التى يعتنقونها وجدت أيضاً سنداً فى القول بأن المسيح كان كائناً الهيا جاء من السماء ، ورفضهم للعهد القديم وللاله الذى أعطاه ، يستند على حوار بولس ضد الناموس . وتقسيمهم البشر الى طبقتين الذين يستطيعون الخلاص والذين لا يستطيعونه ، بنوه على التمييز الذى وضعه يسوع بين أبناء الله وأبناء ابليس » (*) (يوحنا ٨ : ٣٧ - ٤٧) زد على ذلك تلك المحاولة التى بذلتها الغنوسية لتفسير

(*) ماكجفرت McGiffert تاريخ الفكر المسيحى جزء ١ ص ١٥١ .

McGiffert, H.C. - A History of Christian Thought,
Vol. I, p. 151.

بعض الظواهر التي كان من الصعب على المسيحيين أن يجدوا لها جواباً ،
مثل أصل الشر •

وفي الوقت الذي لم يكن فيه اللاهوت المسيحي قد وضع في تركيب
منظم كامل ، كانت الغنوسية في تعاليمها ونظمها تستهوي أولئك الذين
يريدون أجوبة على قضايا لاهوتية أساسية •

٤ - الغنوسيون المسيحيون :

ولعل أهم طريقة نفهم بها الغنوسية المسيحية هي أن ندرس بعضاً
من تعاليم الغنوسيين الذين اعتقدوا في أنفسهم واعتقدوا معهم الآخرون
أيضاً أنهم مسيحيون • ولقد كان لبعضهم شأن كبير في الكنيسة ، وكان
لهم أتباع كثيرون ، مع أن واحداً منهم لم يبذل أية محاولة لتأسيس كنائس
منفصلة • ويمكن أن نختار من ضمن الأسماء اللامعة : ساترنيوس
(Saturninus) الأنطاكي ، كربوكراتس (Carpocrates)
باسيليدس (Basilides) من الاسكندرية ، فالنتينوس (Valentinus)
من الاسكندرية وروما • وكل هؤلاء عاشوا تقريباً في القرن الثاني
الميلادي •

ساترنيوس

وقد سماه جاستن الشهيد « الغنوسى الكبير الأول » وهو يمثل تأثير
الغنوسية على المجتمعات « اتيهودية المسيحية » في آسيا • ويصف
ايريناؤوس غنوسية ساترنيوس في كتابه « ضد الهرطقة » (الجزء الأول
(٢٤ : ٢)) فيقول : « وضع الملائكة السبعة الذين يرأسهم اله اليهود في
موقف العداوة من الاله المحتجب • وقد خلق هؤلاء الملائكة الانسان ،
ولكن هذا الانسان بدأ يتخبط في الأرض حتى أعطاه الاله المحتجب قبساً
من النور الذي يصدره •••• وقد أنكر ساترنيوس الزواج ووصفه بأنه
جاء من الشيطان • وبعض تلاميذه امتنعوا عن أكل اللحم •• » وقد
ميز بين جنسين من الناس : أولئك الذين لهم شركة في النور السماوى
وأولئك الذين حرموا منه •

باسيليدس

وكان باسيليدس الاسكندري يرى الأمور أيضا من وجهة النظر اليهودية - المسيحية ، ومع ذلك فكان ينادى بالحرية من الناموس ، واعتبر نفسه وسيطا بين المسيحيين واليهود . وتظهر عناصر الغنوسية الأساسية في تعليمه عن التوتر بين عالم المادة وعالم الروح الخالصة . ولكي يفصل الله عن المادة قال ان الله خلق « العقل » (nous) . ومن هذا العقل خرجت الملائكة والسموات وعددها ٢٦٥ في ترتيب تنازلى الى أن وصلت الى اله العهد القديم « يهوه » الذى خلق آخر الأشياء وهو العالم المادى الذى يعيش فيه الجنس البشرى . أما الله الآب فيرى الجنس البشرى فى حالة اليأس فيرسل « العقل » وهو الابن لكى يعطى « المعرفة » (Gnosis) للخلاص لجماعة الروحانيين المختارين . ويقول باسيليدس ان المسيح ظهر كإنسان ظاهريا فقط ولكنه لم يتألم أو يموت ولكن سمعان القيروانى قتل مكانه . (انظر ما قيل عن الدوسيتية) .

فالنتينوس

يعتبر من أهم الغنوسيين الذين كان لهم أثرهم الكبير . وقد عمل فى روما وعاش فيها وكان مبعولا من الجميع . وقيل انه رشح للأسقفية ، ولكنها أعطيت لشخص آخر ممن تحملوا الاضطهادات . وفى كتابات فالنتينوس نجد الغنوسية فى أهم مظهرها متحدية للمسيحية : « فليست المعمودية فقط هى التى تحرر الانسان . . . ولكن المعرفة ، معرفة من نحن وماذا وجدنا هكذا وأين نحن ، وفى أى مركز وضعنا فى هذا الكون ، وإلى أين نحن مسرعين ، ومن أى شئ خلصنا ، وما هو الميلاد والميلاد الثانى » (من فالنتينوس فى خطاب الى ريجينوس ، اقتبسها و . هـ . ك . فرند : الكنيسة الأولى ص ٦١) .

ومع أننا لا نملك شيئا من كتابات فالنتينوس نفسه الا أن الرأى الغالب هو ان كتاب « انجيل الحق » الذى وجد فى نجع حمادى هو من ضمن كتاباته . ولكن توجد كتابات كثيرة كتبها أتباعه نجد تعاليمه واضحة

فيها • والمادة التالية من تعاليم فالنتينوس مقتبسة من كتاب : تاريخ مختصر للكنيسة الأولى للمؤرخ هارى بوير (*) •

حوادث داخل الملء : (Pleroma)

تبدأ الغنوسية بالاعتقاد باله كان موجودا بنفسه ولوحده وتطلق عليه عدة أسماء : الأب الغير المعروف ، الهاوية ، الغير المولود • هذا الاله لم يرض أن يظل وحيدا فخلق اثنين من الأيونات (Aeons) (وهى كائنات الهية) اسمهما « العقل » وهو ذكر « والحق » وهى أنثى • وهذان بدورها أنتجا زوجين آخرين « الحياة العالمية » (World Life) « وكنيسة الانسان » (Man - Church) هؤلاء جميعا مع الأب ••• يكونون الملء أو ملء اللاهوت • « الحياة العالمية » أنتجت عشرة أيونات فأصبح الجميع ثمانية عشر • أما « كنيسة الانسان » فأنتجت ١٢ أيونا فصار الجميع ثلاثين • ولقد حاول الغنوسيون اثبات وجود هذه الثلاثين أيونا من العهد الجديد ، ففى مثل الكرامين أرسل بعضهم فى الساعة الأولى وآخرون فى الثالثة وآخرون فى السادسة والتاسعة ثم الحادية عشرة • ومجموع هذه الأعداد هو ٣٠ ، كما أن يسوع قد بدأ خدمته وهو فى سن الثلاثين • الخ •

والأيون الأخير الذى ولدته « كنيسة الانسان » كان أنثى واسمها « صوفيا » (Sophia) أى الحكمة ، وكان لها رغبة أن تعرف الأب الغير المعروف (مع أن الغنوسيين يقولون انه لا يمكن أن يعرف) • ولما لم تستطع ذلك أصابها الحزن الشديد • وفى حزنها وبدون مشاركة من زوجها أنجبت مولودة أسمتها أخاموث (Achamoth) (ومعناها غير مؤكد) ، ولكنها لم تستطع أن تمكث فى ملء اللاهوت نظرا لولادتها الغير الطبيعية فسقطت من هناك • فلما رأت الحكمة ما فعلته ، ازداد حزنها وأضحت لا تتعزى مطلقا ، فحزن معها سائر الأيونات وقدموا رجاء الى « العقل » « والحق » لمساعدتها ، فما كان من هذين الا أن أنتجا أيونيين آخرين لانقاذ الحكمة من حزنهما «المسيح والروح القدس» • وفعلا اعدا

Harry R. Boer : A short History of the Early Church
(Eerdmans, 1976) P. 57.

الانسجام للبليروما فأراد الأيونات الثلاثون أن يظهروا امتنانهم لذلك .
فأنتجوا أيونا آخر اسمه « يسوع » . هذه هى الأحداث التى حدثت داخل
الملء أو البليروما » .

حوادث حدثت خارج الملء (Pleroma) فى العالم المادى :

« أنجبت أخاموٲ التى سقطت من الملء ، مولودا اسمه ديمرج
(Demiurge)

(وتأتى من كلمة يونانية تعنى عامل،وعلى الأخص صانع العالم أو الخالق)
وبهذا صارت أخاموٲ أما لكل المادة ، وهذه المادة شريرة لأنها من أصل
دنئ وأخلاق غير سامية . ولقد أعطى الديمرج هذه المادة أشكالها
المختلفة فهو فى الحقيقة الخالق لكل شئ ، ومنه جاءت أنفس البشر .
وتحكم الحكمة فى الديمرج من مكانها فى الملء لأنه ينتسب إليها عن
طريق أخاموٲ ، ولكن الديمرج يجهل ذلك . ونتيجة لهذا التأثير للحكمة ،
يستطيع الديمرج أن يخلق أناسا بهم عناصر روحية صالحة . ولقد كانت
الحكمة وراء ميلاد الأيون « يسوع » من العذراء مريم . وفى أثناء
حياته استطاع يسوع أن يعلن هذه المعرفة لجماعة اختارهم ، وهؤلاء
أوصلوها بدورهم الى الأجيال الصالحة التى جاءت بعدهم . وعند الصلب
انفصل الأيون السماوى من الجسم الترابى الذى عاش فيه ، وهكذا لم
يصلب الأيون يسوع فعلا » .

« هؤلاء الذين يأخذون المعرفة هم جماعة المختارين الذين سوف
يتخلصون من المادة الشريرة التى تحتوى أجسادهم عند الموت ، فيرجعون
الى الملء الذى منه استمدوا وجودهم الروحى . وبعد ذلك تنحدر كل
الأشياء المادية الى الفوضى ثم الى العدم » .

هناك مدارس غنوسية أخرى تحاول جميعها بمختلف الأساليب أن
تبعد الله عن الشر وفى نفس الوقت تقدم للانسان طريق النجاة الى الخلاص
الأبدى . ولكن اتباع فالنتينوس كانوا – كما يظهر – أكثر الجميع
جاذبية للطبقة المثقفة بسبب تفكيرهم الجيد واعتدال خيالهم ودراستهم .

٥ - خطر الغنوسية على المسيحية :

لم يكن خطر الغنوسية على المسيحية فى كونها ديانة منافسة ، ولكن خطرها كان فى محاولة الغنوسيين أن يفسروا المسيحية والفكر المسيحى بأسلوب غنوسى . فقد استخدموا الكتب المقدسة ولكنهم أهملوا العهد القديم وركزوا على الأناجيل ورسائل الرسول بولس . وكانوا يفسرون أجزاء منها بطريقتهم المجازية . فمثلا أعطى أحدهم التفسير التالى لقصة يسوع والمرأة السامرية على البئر (يوحنا ٤) : « ان الشرارة الالهية التى كانت فى المرأة جعلتها لا ترضى بالمعرفة القديمة التى تتمثل فى بئر يعقوب ، وكانت تتطلع الى المعرفة الجديدة (الغنوسية) التى يهبها المسيح وحده . هذا التفسير يظهر فى عين الذين لا يعرفون الغنوسية ، بريئا لا ضرر منه .

أما الناحية التى جاء منها أخطر الأسلحة ضد المسيحية من الغنوسية فهى نظمها الفكرية التى وضعت المسيح مركزا لحوادث العالم ، ولكن بحسب المفهوم الغنوسى الغريب ، وهو كالأتى : « مرات نقرأ عن المسيح وقد تحول الى شبح خفى غير منظور ، مرات فى جسد ومرت بغير جسد . فيظهر كصبى أو رجل أو عجوز أو كبديل للرسول ، يظهر ثم يختفى ، مظهرا طبيعته فى صليب من نور ، وهو الكلمة الالهى الذى هو فى نفس الوقت الآب والابن والروح القدس والذى لم يعلق أبدا على صليب خشبى (١) ويذكر ايريناىوس أن بعض الغنوسيين يقسمون طبيعة المسيح ، فالمسيح جاء الى يسوع فلما مات يسوع لم يمت المسيح ، أو أن المسيح لم يمت بل مات بدله سمعان القيروانى ، بينما وقف يسوع يضحك من غباوة اليهود (٢) .

(١) هـ . لبيتزمان (H. Leitzmann) تاريخ الكنيسة الأولى ج ٢ ص ٨٧

مقتبسا من أعمال توما ويوحنا وبطرس وهى كتابات غنوسية .

(٢) يلوح أن كتاب الأناجيل أنفسهم كانوا يعرفون خطورة التفسير الغنوسى الخاطىء لطبيعة المسيح . انظر مثلا ما قاله يوحنا الرسول فى (١ يوحنا ٤ : ١ - ٣) : « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من عند الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم ، بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله ، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله » ، (انظر أيضا يوحنا ١ : ١ - ٣) .

٦ - أخطاء الغنوسية :

وأخيرا يمكن أن نعرض النقاط الكثيرة التي فيها حاولت الغنوسية أن تمسخ المسيحية : فقد أبعدت الله عن العالم ، علمت الثنائيات التي ساوت العالم المادى بالشر ، ولم تستطع أن تعطى حلا لمشكلة الشر بإبعادها الله عن الزمان والمكان ، جردت المسيح من بشريته ، التوت بمعانى الكتب المقدسة وأهملت جزءا كبيرا منها ، قسمت الجنس البشرى الى ثلاث طبقات ، احداها معنية للهلاك لأنها محرومة من أن تنال الشرارة الالهية ، كما شجعت القدريّة من ناحية ومن الناحية الأخرى شجعت التحرر .

وبطريقة جانبية أخرى ألحقت الغنوسية ضررا بالكنيسة لأنها تركت طابعها على المفكرين الذين جاؤا بعد ذلك ، كمارسيون الذى أعلن أن اله العهد القديم لا يمكن أن يكون هو اله المسيح، والهرطقة الدوسيتية التي سبق ذكرها والتي أنكرت بشرية المسيح ، وميل الكثيرين من المفكرين الكنسيين لتفسير الكتاب المقدس تفسيرا رمزيا .

ومن الناحية الأخرى أجبر التحدى الغنوسى المفكرين المسيحيين على أن يجيبوا على أسئلة ويوضحوا مواقف لم يفكروا فيها من قبل . فالغنوسية كان لها نظمها الفلسفية واللاهوتية ، فكان على المسيحية أن تضع نظمها لتحامى عن الايمان المسلم مرة لها . فضغط الغنوسية نتج عنه عصر ذهبي فى التفكير والمناقشات اللاهوتية . . .

Recommended English Readings

Carrington, Philip The Early Christian Church,

Vol. II, PP. 71 - 80.

Danielou, J. and Marrou, H. The First Six Hundred Years,

Vol. I of The Christian Centuries, pp. 55 - 66, 98 - 100.

Foster, John The First Advance. Vol I of Church History,

TEF Study Guide 5, 57 - 61.

Frend, W. H. C. The Early Church, pp.60 - 66.

Kee, H. C. The Origins of Christianity, PP. 238 - 257.

(for quotations from gnostic Writings)

Leitzmann, Hans, A History of the Early Church, Vol. I,

PP. 264 - 295.

Marty, Martin E. A Short History of Christianity,

PP. 78 - 80.

McGiffert, A. C. A History of Christian Thought,

Vol I, PP. 45 - 58.

Walker, Williston A History of the Christian Church,

PP. 51 - 53.

د - المارسيونية (Marcionism)

كان مارسيون واحدا من أكثر الهرطقة أهمية الذين أتعبوا الكنيسة في القرن الثاني الميلادي . ومع أن الكنيسة قطعتة من عضويتها الا أن معارضية ظلوا يحترمونه بل هناك من اعتبره واحدا من المصلحين .

حوادث حياة مارسيون :

ولد مارسيون في مدينة سينوب (Sinope) التي تقع على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود بآسيا الصغرى سنة ٨٥ م . وكان أبوه أسقفا . وكان مارسيون تاجرا وصاحب مراكب فكان واسع الثراء . وفي سنة ١٣٩م ذهب الى روما وانضم لجماعة من جماعات الكنيسة المسيحية هناك ثم تبرع لهم بمبلغ مائتي ألف سسترسز (Sesterces) أي حوالي عشرة آلاف دولار) . ولكنه بدأ يهتم بمشكلة الشر الذي يملأ العالم ، ثم يتشكك في قيمة العهد القديم وعلى الأخص في الطريقة الرمزية التي كانوا يفسرونه بها ، ثم كون تفكيره اللاهوتي الخاص به متأثرا بالتيار الغنوسي المنتشر في ذلك العصر ، فكان كل ذلك دافعا للكنيسة على قطعه من شركتها سنة ١٤٤م وأعادوا له عطيته المالية التي دفعها لها . وعندما تقابل مع القديس بوليكرابوس أسقف سميرنا في روما (أو في سميرنا) سألته : « هل تعرفني » ؟ فأجاب القديس : « نعم أنت الابن الأكبر للشيطان » وهذا يدل على قوة رفض الكنيسة للبدعة المارسيونية في ذلك العصر .

كنيسة مارسيون :

ومع ذلك فقد كان لمارسيون أتباع كثيرون ، واستطاع أن يؤسس كنيسة ضمت في عضويتها كثيرين في أرجاء الامبراطورية ، كان طابعها النقشفي فلا خمر ولا لحم ولا معاشره نساء ولا زواج . ولقد قال مارسيون : « اذا أنجبت أطفالا فانك تكثر اتباع اله (Deminurge) هذا العالم » . ولهذا كانت كنيسة مارسيون تنمو عن طريق من يدخلونها من الخارج وليس عن طريق تكاثر أعضائها طبيعيا .

ولكننا لا نعرف كثيرا عن الحياة داخل هذه الكنيسة ، فأعضاؤها تفوقعوا داخلها ولم يتركوا أية وثائق تعرف العالم بهم . أما ما نعرفه

عن مارسيون نفسه فهو مأخوذ من كتب ترتليان الخمسة التي تحمل عنوانا واحدا : « ضد مارسيون » . وقد مات مارسيون سنة ١٦٠ م . ولكن كنيسته بقيت - بحسب الشواهد المتاحة - الى القرن الخامس الميلادى .

تعاليم مارسيون عن اله العهد القديم :

نبعت أفكار مارسيون اللاهوتية من عدم رضائه عن الطريقة العامة التى كانت متبعة فى تفسير العهد القديم ، وهى الطريقة المجازية . فقصص العهد القديم لم تبق على معناها التاريخى بل أعطوها معنى روحيا لا يمكن أن يفهم الا فى نور العهد الجديد ، بعكس ما كان ينادى به مارسيون من أن يفسروه تفسيرا حرفيا تاريخيا ، وأن يأخذوه كما هو . وعندما بدأ يدرس العهد القديم هاله ما رأى وهو أن العهد القديم ما هو الا تاريخ الأمة اليهودية ولا يمكن أن يرقى الى مستوى العهد الجديد . ولعل أخطر ما وصل اليه فكره هو أن اله العهد القديم كان على الأقل ضعيفا وليس فى المستوى الالهى المطلوب ، ان لم يكن شريرا . وعلى أفضل الأحوال كان اله العدل الذى يبنى حكمة على أساس الشريعة الموسوية : « عين بعين وسن بسن » وقد يكون بارا ولكنه كان قاسيا ودكتاتورا ، خلق البشر ودفعهم دفعا الى الخطية ثم عاقبهم عليها . ولعله كان متحيزا يتجاوز عن خطايا وسقطات مريديه ولكنه يعاقب الأبرياء دون سبب ما . والا فكيف يقول : « أنا . . مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه » (أشعياء ٤٥ : ٧) ، وهل يمكن أن يكون هو نفس اله يسوع الذى قال : « هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة ، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع أثمارا ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة » (متى ١٧: ٧) ولا يعقل أن يكون الاله الذى جعل الدبتين تفتربسان الصبية الصغار الذين عيروا أليشع بأنه أقرع (٢ ملوك ٢ : ٢٣ - ٢٥) هو نفس الاله الذى تكلم فى المسيح قائلا : « دعوا الأولاد يأتون الى . . لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (متى ١٩ : ١٤) .

وهكذا استنتج مارسيون بمنطقه هذا أن الاله القاسى الشرس لابد

وأن يكون كائننا أقل وأحط في مستواه من اله المحبة والرحمة الذي أعلنه يسوع المسيح ، ولابد أن اله العهد القديم هو الكائن الالهى الذى خلق هذا العالم المادى (كما يعتقد الغنوسيون) ، فالعالم الشرير الذى أحاط بمارسيون ، بكل ما فيه من قسوة وسقوط وعداوة ، جعله يتمسك بقوة بأن المادة شر وأن الاله الحقيقى لابد وأن يكون منفصلا انفصالا تاما عن أى شىء مادى .

أما الاله الحقيقى بحسب تفكير مار سيون – فهو فى الحقيقة اله محتجب ، وهو الاله المجهول الذى نادى به الرسول بولس فى أريوس باغوس (أعمال ١٧ : ٢٣) ، والذى ظهر فى شخص يسوع المسيح ليخلص الناس من الاله اليهودى « يهوه » . فقبل يسوع لم يعرف الناس شيئا عن هذا الاله لأنه لم يربط نفسه بتاتا بالعالم أو بالبشر ، بل كان يسكن كغريب فى السماء الثالثة (٢ كورنثوس ١٢ : ٢) بعيدا عن العالم المادى . انه اله المحبة الخالصة والرحمة وليس القاضى ، « ويكفيه ذلك العمل الذى قام به فى تخلص الانسان دلالة على صلاحه وسموه المتناهى » (مقتبسة من كتاب ترتليان « ضد مار سيون ») .

وهكذا قارن مار سيون بين اله العهد القديم ، الاله الخالق ، واله العهد الجديد الاله الفادى ، بين العدل والمحبة ، الناموس والانجيل . ولم يستطع أن يفهم أن هذه الصفات المتناقضة يمكن أن تجتمع معا فى كائن واحد أبدى .

المسيح فى نظر مارسيون :

لقد كان المسيح هو المركز الأساسى للفكر اللاهوتى لمار سيون ففيه وحده يستطيع الله أن يقوم بعمله الفدائى . وكان مارسيون مغرما باقتباس قول المسيح : « ليس أحد يعرف الاب الا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » (لوقا ١٠ : ٢٢) . ولم يكن مارسيون يميز بين الله والمسيح . فالله ظهر فى هيئة المسيح الذى كان جسده شبعا لم يولد أبدا من امرأة بل ظهر فجأة وبطريقة اعجازية كإنسان كامل ، ولم يمت على الصليب ولم يدفن ولم يقم من القبر ، ولكنه اختفى فجأة ليبشر الموتى فى الهاوية ثم رجع بعد ذلك ليقوم بعمله كالأب المحتجب فى السماء .

الكتاب المقدس عند مارسيون :

ولكى يبرهن على تفكيره هذا لم يتردد مارسيون لحظة فى الاقتباس من الكتب المقدسة وتفسيرها على هواه ، ومع ذلك فقد طرح العهد القديم جانبا ، ولم يقبل سوى انجيل واحد من الأناجيل الأربعة هو انجيل لوقا بعد أن اقتطع منه الأربعة الأصحاحات الأولى الى (٤ : ٣١) حتى يتفادى نسب يسوع الى اليهود . واعتقد أن أعمال الرسل كتبه جماعة اليهوديين فرفضه ، وبالأجمال رفض كل كتاب رأى فيه أى تأثير لليهود . أما الرسول بولس فكان الكاتب المفضل لديه فقبل كل رسائله ما عدا تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس . ومع ذلك فقد تجرأ على القيام بأى تغيير يراه مناسبا لتفكيره فى الرسائل المقبولة لديه . فمثلا غير قول السيد فى (لوقا ١٦ : ١٧) : « لكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » الى « . . . أيسر من تسقط نقطة واحدة من كلمات الرب » . ثم أساء تفسير قول الرسول فى غلاطية (١ : ٩) : « ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغيرما بشرناكم فليكن اناثيما » ليبرهن على أن انجيل لوقا هو الانجيل الوحيد الصحيح وأن الأناجيل الثلاثة الأخرى أضافتها الكنيسة خطأ تحت تأثير اليهوديين .

وكان مارسيون يعتقد أن رسالة غلاطية هى الدفاع الأساسى ضد المسيحية اليهودية . ففى غلاطية ظهر بطرس ملوما لأنه لم يسلك باستقامة حسب انجيل الحق (غلاطية ٢ : ١٤) . وكما حارب الرسول بولس ضد الاخوة والأنبياء الكذبة ، هكذا كان يحارب هو - حسب زعمه - لينقى الانجيل من كل اشارة الى اله اليهود ، ولهذا قال عنه ترتليان : « ان مارسيون يعلم الكتاب المقدس لا بقلمه بل بمشرطه ليقطع منه كل ما لا يوافق تفكيره » .

ملاحظات على مارسيون :

سبق القول أن الكنيسة المسيحية هاجمت مارسيون بكل شدة ، فقد كتب ايريناىوس (Irenaeus) عنه قائلا : « لقد جدف مارسيون على الله وأهمل كثيرا من تعاليم المسيح ، ووضع نفسه فى مرتبة أعلى من الرسل الذين سلموا الانجيل الينا » .

ويجب أن نتفق مع هؤلاء الذين انتقدوه فى الكنيسة القديمة الى حد كبير . فقد كان واحدا من الدوستيين عدوا للسامية ، ثنائى العقيدة ومحرفا للكتب المقدسة . ومع ذلك فيجب أن نقرر هنا أنه لم يكن غنوسيا بالمعنى الكامل للكلمة رغم تأثره بهم كثيرا ، فلم يستخدم الأساطير أو المجازات التى تتميز بها الغنوسية ، لم يستخدم الألفاظ الأيونات والملاء ونظام الديمارج أى الاله المتتابعة . لم يعلم أسرار كالدانيات السرية ولم يشجع الفرائض السرية ، والخلص بالنسبة له هو بالايمان وليس بالمعرفة ، وكان خلاصا للجميع وليس لمجموعة صغيرة غنوسية ، ولم تكن هنا جماعة مختارة لديها كفاءات روحية خاصة . ولعل ما يجب أن نذكره له هو أمانته لتعاليم الرسول بولس عن اله المحبة والرحمة الذى يخلص أبناءه الذين أخطأوا خلاصا مجانيا لا يتوقف على أى امتياز أو استحقاق لربهم ، سوى أنهم يرجعون اليه فى توبة وایمان . ولقد تميز أتباعه بنقاوة الحياة والتقوى ، ولقد استشهد كثيرون منهم فى موجات الاضطهاد الرومانى .

ومع الكنيسة كانت تتمنى لو لم يولد مارسيون ، لكن يجب أن نشكر الله لظهوره لأنه وضع أمام الكنيسة قضايا أساسية ما كانت لتفكر فيها ، أو تجيب عليها ، كطبيعة الله وصلة الله والمسيح ، وتفسير الكتب المقدسة ، وأهمها جميعا حصر الكتب المقدسة القانونية ، ففى هذا المعنى السلبي يمكننا أن نعتبر مارسيون مصلحا .

Recommended English Readings

Foster, John The First Advance (Voll I of Church History)

PP. 53 - 57.

Freund, W. H. C. The Early Church, PP. 66 - 68.

Latourette, K. S. A History of Christianity, PP. 125 - 128.

Lietzmann, Hans A History of the Early Church, Vol I,

PP. 249 - 263.

Walker, Williston A History of the Christian Church,

PP. 54, 55.

Megiffert, A. C. A History of Christian Thought ,

Vol. I, PP. 54, 55.

هـ - المونتانية (Montanism)

ظهرت المونتانية في فريجية بآسيا الصغرى بعد منتصف القرن الثانى الميلادى بقليل كاحدى الحركات الهرطقية التى حكم عليها آباء الكنيسة ، ومع أنها لا تعتبر هرطقة بالمعنى المفهوم للكلمة كما هو الحال فى المارسونية والغنوسية ، الا أنها كانت تحديا خطيرا للكهنة الكنسى مما سبب انقساماً فى الكنائس الشرقية .

أصل المونتانية :

ترجع حركة المونتانية الى شخص اسمه مونتانس (Montanus) أعلن عند المعمودية أنه قد نال تدبيراً خاصاً (Dispensation) من الروح القدس وتنبأ عن رجوع المسيح الى الأرض . ولقد رحب كثيرون بكل قوة بهذا الاعلان لأن الانتظار كان قد ضعف منذ نهاية القرن الأول الميلادى . ولقد ساعد على ذلك الأمر الاحساس العام بعدم الرضى عن الكنيسة التى فقدت روح النبوة والملاء الروحية الذى كان يميزها فى الابتداء ، كما كان هناك اعتقاد عام بأن نهاية العالم قد قربت . ولقد كانت فريجية فى الأيام السالفة مركزاً لعبادة الآلهة اليونانية

سيبيل (Cybele) التى تميزت عبادتها بالأحاسيس المتطرفة المتشنجة والرقصات المتوحشة وخصى الذات والاستحمام فى دماء الثور الذى يقدم ذبيحة لها . ولكن لما جاءت المسيحية فقدت العقائد الوثنية سلطتها على الناس الذين تحولوا الى المسيحية لكنهم حملوا معهم «حماستهم»(*) . ولقد تميزت المسيحية فى آسيا باهتمامها القوى بمواهب الروح القدس والنبوة وعقيدة الحكم الألفى للمسيح . ولربما كان ذلك لأنها انقطعت بعض الشيء عن المسيحية العالمية وبقيت تحت تأثير التفكير الروى اليهودى .

ولقد كان انجيل يوحنا هو المفضل لدى المونتانيين لكثرة اشاراته

(*) حماسة ترجمة لكلمة (Enthusiasm) التى ترجع الى الكلمة اليونانية

(Entheos) ومعناها « ملهم من الله » .

الى البارقليط (الروح القدس) وكذلك كان سفر الرؤيا نسبة لكثرة ما جاد به من أجزاء نبوية وخصوصا تلك التى تقارن روما (كرسى الشيطان) بأورشليم الجديدة (مسكن الله) .

نبوة مونتامونس :

أعلن مونتانس سنة ١٥٦ م أن الروح القدس يتكلم اليه وحده مباشرة . وكان ينطق بعبارات مثل هذه : « هوذا الانسان وكأنه قيثاره وأنا (الله) ألعب على أوتارها » . « الانسان ينام وأنا أستيقظ ، هوذا الرب ، لا ملاك . لا رسول . . . انما أنا آتى بنفسى » وقد تظهر هنا شواهد على وجود عناصر من لاهوت الملكيين التى انتشرت فى ذلك الوقت ونادى بها نويتس (Noetus) وبراكسياس (Praxeas) وملخصها أن الله الآب والمسيح الابن متطابقان فهما شخصية واحدة .

وخلاصة القول أن مونتانس اعتبر نفسه القناة الوحيدة لاعلان الله . ربما أعطى الله بعض الناس مواهب خاصة ، ولكن سلطان النبوة المطلق أعطى لشخص واحد هو نفسه (مونتانس) .

بريسكا وماكسيميليا (Prisca, Maximilla) والمجىء الثانى :

انضمت الى مونتانس نبيتان ، اسم الأولى بريسكا (أو بريسكلا) وماكسيميليا اللتان أعلنتا نهاية العالم ورجوع المسيح السريع الى فريجيا ، وأن أورشليم الجديدة سوف تنزل من السماء على القرية الصغيرة بيبوزا (Pepuza) . وذكرت بريسكلا قصة الرؤيا التى جاءت اليها فقالت : « فى هيئة امرأة جاء الى المسيح فى لباس بهى ، وغرس الحكمة فى ، وأعلن لى أن هذا المكان مقدس ، وأن ها هنا سوف تنزل أورشليم الجديدة من السماء » (اقتبسها ابيفانيوس .
(Panation 49. Epiphanius)

ولكى يستعد المسيحيون لهذا المجىء الثانى أمرتهم النبيتان بالكف عن الزواج ، وأن يزيدوا من أوقات الصيام ويمتنعوا عن شرب الخمر والأطعمة الشهية ، واجتمع جمع غفير منهم فى فريجيا انتظارا لرجوع الرب ، حتى انه قيل ان أسقفا من سوريا قاد كل أعضاء كنيسته ليقابلوا

المسيح فى الصحراء ولكنهم ضلوا طريقهم وكانوا على شفا الموت جوعا لولا أنقذتهم السلطات . ومن الغريب حقا أن المونتانية ظلت باقية لم تمت كما كان متوقعا عندما لم تأت نهاية العالم التى تنبأت بها . بل على العكس من ذلك ، فقد ازدهرت وانتشرت حتى بعد موت منتانوس والنبيتين . وفى سنة ٢٠٠ م امتدت المونتانية الى الغرب حيث قوبلت بترحاب فى أوساط كنسية كثيرة ، واحترم الناس أتباعها لما تحلوا به من حياة الزهد والتقشف والاستعداد لمواجهة الاستشهاد بكل شجاعة . والدليل على ذلك أن ترتليان القرطاجنى أحد الآباء اللاتين انضم الى المونتانية فحذا حذوه الكثيرون . وهكذا عاشت المونتانية كحركة نبوية حتى بعد أن برهنت الأيام كذب نبواتها مثلها فى ذلك مثل حركات نبوية كثيرة مع أن ذلك ضد منطق الأمور .

الكنيسة المونتانية :

ولقد تنظمت الكنيسة المونتانية ككل الكنائس المعاصرة الأخرى فكان لها أساقفتها وشيوخها وشمامستها . ولقد خطت خطوة جريئة لم تقبلها الكنيسة العامة فرسمت بعض النساء للموظائف الكنسية لما كان لهن من مواهب ، ولكن كان أكثر ما ركزت عليه الكنيسة الأول فى حياتها الروحية، هو القوة الخاصة التى للقادة الأنبياء ، ولقد حفظ المجتمع المونتانى نبوات هؤلاء القادة ، ومع ذلك فلسوء الحظ لا يزال المصدر الوحيد لمعرفتنا بهم هو كتابات أولئك الذين كتبوا ضدهم .

المعارضة المونتانية :

ارتبك قادة الكنيسة ولم يعرفوا كيف يوقفون انتشار المونتانية ، فلم يستطيعوا أن يسموها بالهرطقة لأنها لم تعلم تعاليم منحرفة مثل الدوسيتية ، بل على العكس فانها أحييت الكثير من عناصر الايمان المسيحى التى اعترفوا بأنهم أهملوها ، زد على ذلك أن المونتانية كانت تمثل تهديدا خطيرا بالنسبة لسلطان الأساقفة فقد رفعت صوت النبوة فى وجه السلطان الكهنوتى ، وادعت لنفسها الحق فى أن تتكلم عن الله بفم واحد أو اثنين من الشخصيات التى امتلأت بالروح ، بينما كانت الكنيسة فى كل تاريخها

تصل الى قراراتها وسياستها بواسطة الاجماع الانتخابى والمجتمع الكنسى .
ولهذا فلم يكن فى يد السلطات أى سلاح لمحاربتها سوى التشكيك فى
النبوات التى قالها أبناؤها والتشكيك فى أخلاقهم ، فأطلقوا الاشاعات
الكاذبة عنهم . واجتمع الأساقفة الآسيويون سنة ١٦٠ م فى سنودسات
متعددة وحرموا مونتanos وكل أتباعه ، ثم اضطهدوهم بعد أن سموهم
« الكنيسة الفريجية » ثم طردوهم من المدن فانتشرت المونتانية فى القرى
والريف حيث استمرت الى القرن الخامس .

و - الرؤى

من المستحسن أن نشير فى هذا المقام أن كتابات رؤوية كثيرة يهودية ومسيحية ظهرت فيما بين ٢٠٠ ق م الى ١٥٠ م . هذه الكتابات كانت تركز على النبوءات التى تتعلق بنهاية الأيام وعلامات مجيئها وتتميز بامتلائها بالرموز والأعداد والكتابات السرية . وهناك كتابات رؤوية فى الكتب المقدسة وهى اشعيا ٢٤ - ٢٧ ، حزقيال ٣٨ و ٣٩ ، دانيال ٧ - ١٢ ، يوشيا ٣ : ٩ - ١٢ ، زكريا ٩ - ١٤ ، متى ٢٤ ، مرقس ١٣ ثم رؤيا يوحنا اللاهوتى . وتوجد كتابات رؤوية لا تعتبر من الكتب المقدسة وهذه قائمة بأهم هذه الكتابات :

اليهودية :

أخنوخ الأول والثانى . كتاب اليوبيل ، دعوات موسى ، رؤى باروخ ، حروب أبناء النور ضد أبناء الظلام .

المسيحية :

رؤى نسبت الى الرسل : بطرس ، بولس ، اسطفانوس ، توما ، ويوحنا . عدة رؤى نسبت الى العذراء مريم ، ثم راعى هرمس .

Recommended English Readings

Carrington, Philip — The Early Christian Church,
Vol II, PP. 139 - 145.

Danielou, J. & Marrou. H. — The Christian Centuries,
Vol I, The First Six Hundred Years, PP. 100 - 103.

Foster, John — The First Advance - Church History I,
PP. 61 - 64.

Frend, W. H. C. — The Early Church, PP. 80 - 82.

McGiffert, A. C. — A History of Christian Thought,
Vol I, PP. 166 - 174.

Lietzmann, Hans — A History of the Early Church. Vol. II,
PP. 192 - 203.

Latourette. K. S. — A History of Christianity, PP. 128, 129.

Walker, Williston A History of the Christian Church ,
PP. 55, 56.

ثالثا - الاضطهاد فى القرن الثانى

تحدى المسيحيين للعالم الوثنى :

مع أن المسيحية لم تقبلها الامبراطورية الرومانية وتحترمها كديانة ، لكن المسيحيين كسبوا احترام الناس بسلوكهم فى حياتهم اليومية ، ولسمو مستواهم الأخلاقى ، ولاهتمامهم بعضهم البعض ومساعدتهم بعضهم البعض فى وقت الحاجة ، والمساواة بين الفقراء والأغنياء والعبيد والأرامل واليتامى ، فلم يكن هناك تمييز اجتماعى بينهم . هذه الصفات جذبت الأنظار اليهم ، حتى فى وقت الاضطهادات لاحظ كل الناس شجاعتهم العجيبة فى تحمل العذابات المروعة ، فبدلا من القدرية المفجعة التى تملك الديانات الوثنية ، أظهر المسيحيون الرجاء الكامل فى مواجهة الموت ، وكان المسيحيون أقوياء . . . فى نفس الموقف الذى ظهر فيه ضعف الوثنية ، وبدلا من القدرية والتسليم الخانع ، كانت لهم العقيدة الشجاعة والمحركة ، بشارة تستحق الموت لأجلها .

(Wh. C. Frend, Martyrdom and Persecution in the Early Church Page 193)

وقد وصف أحد الكتاب المسيحيين (أرسطيدس Aristides) تأثير حياة المسيحيين فى العالم الوثنى فقال : « كان المسيحيون يحفظون وصايا المسيح التى كتبت على قلوبهم ، ناظرين الى حياة الدهر الآتى . . حاولوا أن يردوا على شر أعدائهم بالخير . . وكانت زوجاتهم تقييات ، وبناتهم محتشمتات أما عبيدهم فقد دعوهم لقبول المسيح ، ودعوهم اخوة لهم دون أى تمييز . لم يوجد فيهم كذب وخداع وكانوا يحبون بعضهم البعض . كان المسيحي الذى له ، يعطى من ليس له بسخاء . . . ولأنهم

كانوا يعترفون بصلاح الله من أجلهم ٠٠٠ فمنهم ينبثق كل جمال في العالم « (١)

كانت الطريقة التي واجه بها المسيحيون العالم تمثلياً بشموخ القصدى رغم كل الأخطار التي واجهتهم ٠ وكما قال ترتليان : « دماء المسيحيين هي البذار ، فكلما زاد اضطهادكم لنا ، كلما زدنا عددا ٠ ولقد علم كتابكم الناس أن يواجهوا الألم والموت بشجاعة ، ومع ذلك فلم يستطيعوا أن يكسبوا لهم تلاميذ وأتباع كما يحدث مع المسيحيين ، فالتعليم لا يكون بالكلام بل بالعمل والمثال « (٢) ٠

هجوم الفلاسفة على المسيحية :

أما المثقفون والعلماء في ذلك العصر فكانوا ينظرون الى المسيحية بعين الشك والريبة ، وكانوا كثيرا ما يخلطون بينها وبين اليهودية ، واتهموا المسيحيين بالالحاد لأنهم لم يؤمنوا بآلهة اليونان ، واعتبروهم عبيدا للخرافات والتعصب ، ومن ثم تهديدا للنظام القائم ٠

سيلسوس (Celsus) (١٧٨ م) :

وهو من أقسى نقاد المسيحية ، وكان فيلسوفا قام بدراسة جادة للمسيحية واليهودية ٠ وقد هاله أن الكنيسة رغم ما تتمسك به من عقائد سخيفة ، تنمو وتزداد ٠ وكان أكثر ما يغيظه فيها فكرة « الشعب المختار » التي جعلت منهم ، بحسب تفكيره ، جماعة من المواطنين غير الصالحين الذين يهددون سلام الامبراطورية كلها ٠ أو ليس من السخف ، كما يقول هو ، أن يخلق الله البشر على صورته ؟ « فإله ليس كذلك ، ولا يمكن أن ينزل الى الأرض ليأخذ صورة المسيح » ٠ ويكتب سيلسوس في كتابه : (ألتوس لوجوس Alethos Logos) بكل احتقار عن المسيحيين واليهود على السواء ، قائلا : « لأن جنس اليهود والمسيحيين يجتمعون مثل الخفافيش أو النمل الخارج من أعشاشه أو مثل الضفادع التي

(١) اقتبسها John Foster : في Church History جزء ١ ص ٤٩ ٠

(٢) اقتبسها Foster في الكتاب السابق ص ٥٠ ٠

تجتمع حول المستنقع ، أو مثل الديدان التى تتكوم فى ركن قذر ، يتبارون معا على من منهم أشر الخطاة • انهم يدعون أن الله يعلن لهم كل شئ قبل حدوثه ، بل وصل به الأمر الى حد أنه هجر العالمين ، وحركة السماوات ، وأغمض عينيه عن كل الأرض ، لينتبه لهم فقط ، ويرسل رسلا لهم وحدهم بدون أى توقف لأنه يريدهم أن يكونوا معه دائما •

اسباب تجديد الاضطهاد :

وهكذا كان الفلاسفة ينتقدون المسيحية ، وظلت الريية تحيط بهم فى رأى العام منذ السنوات الأولى • أما الحكومة فقد اتخذت بعض الخطوات تجاههم لتشجيع تجديد الاضطهادات ، وقد حدث ذلك ابان حكم الامبراطور مرقس أوريليوس Marcus Aurelius (١٢١ - ١٨٠) الذى اعتنق الفلسفة الرواقية ، وكان يبنى حياته على العقل والمنطق ، وأقلقه أن يسمع عن اليهودية والمسيحية أنهما ديانتان مملوءتان بالخرافات ولذلك كرههما ، وأصدر أمرا أن كل جماعة بما فيهم المسيحيون يشجعون البدع والاضطرابات يجب أن يضيق عليهم الخناق ويوقف نشاطهم • ومع أن هذا الأمر لم يكن يعنى بدء الاضطهاد ، ولكن الذين كرهوا المسيحيين اعتبروه اشارة من أعلى سلطة فى الامبراطورية ، تسمح لهم بتصيد المسيحيين وقتلهم • أما العامل الثانى فكان الوباء المروع الذى انتشر فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، والذى اعتبره بعض المسيحيين علامة على نهاية العالم • هذا الموقف المسيحي من الوباء حول شك الناس فيهم الى كراهية شديدة لهم ورغبة شديدة فى الانتقام منهم • فانفجر الاضطهاد فجأة فى بعض المناطق لعل أهمها وأكثرها تحققا ، ذلك الذى حدث فى سميرنا فى آسيا الصغرى سنة ١٥٥ م وسنة ١٥٦ ، والثانى فى ليون بفرنسا سنة ١٧٧ م •

استشهاد بوليكاربوس (Polycarp) :

كان بوليكاربوس أسقف سميرنا واحدا من أعظم قديسى كنيسة القرن الثانى الميلادى • وكان يعرف باسم « بوليكاربوس المبارك » لأنه كان يمثل حلقة الوصل مع العصر الرسولى ، فقد عرف الرسول يوحنا •

أما الوثنيون فكانوا يطلقون عليه لقب « معلم آسيا ، أب المسيحيين ، محطم الآلهة لأنه يعلم الناس ألا يذبحوا لها أو يعبدوها . ولهذا فلم يكن مستغرباً أن يبدأ الاضطهاد في سмирنا بهذه الشخصية العظيمة الوقورة . وقد دون قصة استشهاده شخص اسمه مارسيانوس (Marcianus) وتعتبر هذه القصة إحدى السجلات القليلة الكاملة التي وصلتنا من ذلك التاريخ المبكر عن مثل هذه الحوادث .

التطرف في الاستشهاد :

من الملاحظ أن مارسيانوس هذا ، وهو يكتب قصة استشهاد بوليكاربوس ، كان يقارن موقفه مع موقف كثيرين من شهداء ذلك العصر . فبعضهم كان يعمل جاهداً على نوال الاستشهاد ، أما بوليكاربوس فقد انتظر في هدوء حتى اكتشفته السلطات وقتلته . ولم يجذب مارسيانوس الروح التي كانت تمتلك هؤلاء المتطرفين ، فمثلاً اختارت السلطات ١٢ مسيحياً لتقدمهم ذبيحة في يوم عيد وثني في سмирنا ، فلم يكذب يسمع بعضهم ذلك حتى سلموا أنفسهم بسرعة فرحين أن يموتوا لأجل إيمانهم .

ويقول هذا المؤرخ أنه جميل أن يموت الشخص من أجل إيمانه ، ولكن بقاء الكنيسة وثباتها في العالم هو أيضاً أمر مهم ، ويجب على المسيحي أن يحافظ على حياته ، أن أمكنه أن يفعل ذلك بضمير صالح ، أما إذا جاء الاستشهاد فلا فرار منه .

الاضطهاد في سмирنا :

لقد جاز المسيحيون في سмирنا ، أن كرها أو طوعاً ، أقسى العذابات : فقد جلدوا بسياط جلدية في أطرافها قطع من الرصاص المدبب لكي يمزق جلودهم ، وقطع لحمهم بآلات حديدية حادة حتى ظهرت العظام ، وألقى ببعضهم إلى الوحوش الكاسرة ، وربطوا في أعمدة وأحرقوا ، وعندما ازداد تعطش الجماهير إلى الدم ، طلبوا بوليكاربوس الذي كان يصلى بصفة دائمة ومستمرة من أجل الذين يجوزون العذاب .

هروب بوليكاربوس والقبض عليه :

وعندما سمع بوليكاربوس بأنهم يطلبون نفسه ، ترك المنزل وذهب الى مزرعة مع جمع من أصدقائه ، فلما اقتربوا منه ترك المزرعة الى مزرعة أخرى . ولكنه حلم في الليل أن وسادته تشتعل بالنيران فأخبر أصدقائه في الصباح أنه سوف يحرق حيا . وحالما عرف العساكر مخبأه عن طريق عبد مسيحي عذبه حتى يبوح لهم عن مكان اختفاء القديس ، ذهبوا اليه فلما رأهم دعاهم الى الطعام والشراب واستأذنهم في أن يذهب ليصلي ، ومكث ساعتين في الصلاة ، وبعدها سلم نفسه لهم فأخذوه الى استاد المدينة . وبينما هم يسرون في طريقهم حاول العساكر مرافقوه أن يغروه بانكار المسيح وتقديم الولاء والعبادة لقيصر ، وكانوا يعتبرونه فخرا لهم أن يتغلبوا على ارادة بطل الكنيسة هذا ، ولكن بوليكاربوس قال لهم : « لا يمكنني أن أفعل ما أنتم تنصحوني به » .

شهادة بوليكاربوس :

وفي الاستاد أوقفوه أمام الحاكم الذي بدأ يحثه على أن يظهر بعض الاهتمام لسنة المتقدم ، وأن يحلف بعظمة قيصر ، وأن يتوب ويقول : « سحقا لهؤلاء الكفرة » (ويقصد بهم المسيحيين) .

ولكن بوليكاربوس أبى ونظر الى السماء وأشار بيده الى الجموع الهادرة المتوحشة وقال : « سحقا للكفرة » .

فقال الحاكم « أقسم وأنا أتركك . العن المسيح » .

فأجاب بوليكاربوس بعبارة الشهيرة : « ستة وثمانين سنة خدمته فلم يفعل لي شيئا رديئا ، فكيف أجدف على ملكي الذي اقتداني ؟ » .

أخيرا قال الحاكم : « احلف بعظمة القيصر » :

فقال بوليكاربوس : « اذا كنتم أغبياء وتظنون أنني أقسم بعظمة القيصر وتظاهرون بأنكم لا تعرفون من أنا ، فاسمعوها بوضوح . أنا مسيحي ، وإذا كنتم تريدون أن تعرفوا العقيدة المسيحية ، فاختاروا يوما اسمعكم فيه ذلك » .

فقال الحاكم : « حاول أن تحدث الناس على ذلك » .

قال بوليكاربوس : « اننى أعتبر أنى مدين لك بهذا الشرح ، لأننا تعلمنا أن نكرم القوات والسلاطين التى أقامها الله ، ولكنى لا أرى سببا لأجله أدافع عن مسيحيتى أو أشرحها لهم » .

– فقال الحاكم : « لدى وحوش كاسرة سألقى بك اليها اذا لم تغير رأيك » .

– « نادى على هذه الوحوش ، لأن تغيير الفكر من الحسن الى الردىء عمل لا نستطيعه ، ولكن التغيير من الشر الى الصلاح عمل عظيم » .

ولكن الحاكم قال له : « سألقى بك الى النار لتأكلك ، ان كنت تحتقر الوحوش ، واذا بقيت على عنادك » .

فأجابه بوليكاربوس : « أنت تهدد بالنار التى تحرق الجسد بسرعة ثم تخمد ، لأنك لا تعرف النار التى تنتظر الأشرار فى يوم الدينونة كعقاب أبدى لهم . ولماذا تنتظر ؟ افعل ما بدا لك » .

فلما رأى الحاكم أن بوليكاربوس أقوى من كل المغريات أرسل مناديا للناس يعلن لهم ثلاث مرات : « بوليكاربوس اعترف بأنه مسيحى » ورد الناس على ذلك بصيحات الغضب مطالبين بموته .

الام بوليكاربوس :

بدأت الجموع الهائجة تجمع الحطب للنيران ، وكان من بينهم بعض اليهود ، أما بوليكاربوس فخلع عباءته وحذاءه ، فربطوه فى العمود لأنه رفض أن يسمروه فيه وقال لهم : « ان الهنا الذى سيعطينى القوة لأتحمل النيران ، سيقوينى أيضا لأبقى ثابتا فى النيران ولن أتحرك حتى بدون المسامير » . واتقدت النيران وتصاعد لهيبها فى شكل شراع ضخيم كأنها لا تريد أن تمسه ، وكان هو فى وسطها كالفضة أو الذهب للتمحيص أو كالخبز الذى يوضع فى الفرن ، وانتشرت رائحة عطرة كالبخور . ولما

رأوا جسده يقاوم النار دون أن يحترق أرسلوا جنديا ليقتله بخنجر ، فلما طعنه فى قلبه خرج دم غزير أطفأ النيران • وقد منعوا المسيحيين من أن يأخذوا الجسد الذى أحرق ، ولكنهم تمكنوا من أن يحصلوا على بعض العظام وحفظوها كوديعة ثمينة « (*) •

شهداء غالة :

ما أن مرت عشرون سنة على الاضطهاد سالف الذكر حتى انفجر اضطهاد آخر (سنة ١٧٧ أو ١٧٨ م) ولكن ذلك كان فى مدينتى ليون وفينا على ضفاف نهر الرون فى جنوب فرنسا • كان ذلك فى موسم أحد الأعياد ، وعندما قدم شخص روماني كبير الى تلك المنطقة ، هب الجمهور دون أى رادع يتصيدون المسيحيين ليقدموهم محرقات فى الحلبة • وكان الاجراء العادى هو ان يأخذوا الضحية ليقف أمام الحاكم ليسأله : « هل أنت مسيحى ؟ » ، فاذا أجاب بالايجاب ، ألقيه فى السجن فى انتظار يوم القتل • وكانوا يعذبونهم لينكروا مسيحيتهم ، أو ليعترفوا على اخوانهم من المسيحيين • ومرة استخدموا الأسياخ المحمأة فى النار ليكروا اجسادهم ، ويذكر التاريخ أحد المسيحيين الذى كان يهتف باستمرار « أنا مسيحى ، بينما كان جسده يكوى بالنيران وقد قال شهود العيان أن هذا الرجل « قد قبل ندى التحمل والقوة من ينبوع السماوى للماء الحى الذى ينبع من جنب المسيح » • ثم أطلقوه لفترة بسيطة ثم أرجعوه مرة أخرى لتكرار هذا العذاب ، ولكنهم وجدوا أن جسده قد شفى بطريقة اعجازية ورجع الى حالته الطبيعية •

الفتاتان الخادمتان :

وكان من ضمن الذين جازوا هذا الاضطهاد المر فتاتان خادمتان ، اسم احدهما « بلاندينا » (Blandina) واسم الأخرى « ببلياس » (Biblias) ولم يكن أحد يصدق أن جسدهما يمكن أن يتحملا العذاب •

(*) أهم مصدر لقصة استشهاد بوليكاربوس هو كتاب يوسابيوس (Historia Ecclesiastica) جزء ٤ فصل ١٥ : ١٨ - ٢٤ •

تعرضت بلاندينا للعذاب من الصباح الى المساء حتى صار جسدها كله جرحا واحدا ينزف دما ولكنها استمرت ثابتة تشهد وتقول : « أنا مسيحية ، وبيننا لا يوجد شر ما » . وكما تحملت ببلياس نفس العذاب ولم تستسلم .

الأسقف بوثينوس (Pothinus) :

تجمع عدد من الشهداء فى أحد السجون الضيقة المنعدمة التهوية ولكن أكثرهم اختنق ومات ، وكان بينهم أسقف شيخ يبلغ التسعين من عمره اسمه بوثينوس ، من آسيا الصغرى وكان تلميذا لبوليكاربوس . هذا الأسقف أجاب على سؤال الحاكم : « من اله المسيحيين » بقوله : لو كنت تستحق لعرفت هذا الاله . وما أن نطق بذلك حتى جرّوه على الأرض وركلوه وضربوه ثم رجموه . فلما أشرف على الموت ألقوا به فى السجن حيث بقى حيا لمدة يومين ثم أسلم الروح .

تكميل الشهداء :

ولقد لاحظ الجميع أن هناك فرقا شاسعا بين أولئك الشجعان الذين اعترفوا بمسيحياتهم ، وبين أولئك الذين ضعفوا وأنكروها . فالجماعة الأولى ملأهم فرح الشهادة ورجاء الموعد الأبدى ، أما الآخرون فامتلأوا خجلا وحزنا . « الجماعة الأولى كان فرحهم باديا على وجوههم ، حملوا قيودهم بفرحة كما تحمل العروس زينتها وكانت تفوح منهم رائحة المسيح الزكية » . ومع ذلك فقد كانوا متواضعين ولم يستحسنوا أن يطلق عليهم لقب « الشهداء » . كانوا لطفاء من نحو الذين ضعفوا وأنكروا المسيح ، وحثوا بعضهم على أن يتشجعوا ويعترفوا بمسيحهم . وكما صلى اسطفانوس ، فعلوا هم أيضا كذلك من أجل مضطهديهم وهكذا كانوا ينمون فى قوتهم الروحية مكملين حياتهم المسيحية فى الضيق ، وأضحوا مؤهلين بشكل فريد أن يكونوا ممثلين للكنيسة أمام العالم الذى كان يحمل لهم الضغينة والحقد .

الاضطهاد يستمر :

أرسل الشهداء الى الحلبة التى امتلأت بالجماهير التى كانت تصرخ طالبة دماءهم . وكان يسوقهم اليها أناس ممسكين بسياط قاسية ، وحالا

هجمت عليهم وحوش مفترسة جائعة ، وآخرون أجلسوهم على كراسى ملتهبة بالنار لدرجة الاحمرار . أما الفتاة بلاندينا ، وكانت لا تزال حية ، فربطوها الى عمود وسلطوا عليها الوحوش فلم تقترب اليها ، فحلوها لكي يحضرها فى اليوم التالى . وفى اليوم الأخير أجلسوا رجلا على الكرسي الملهب وكان جسمه يدخن ورائحة لحمه المشوى تفوح ولكنه نظر حوله وقال : « انظروا ماذا تفعلون الآن انك تشوون الرجال ، أما نحن فلسنا أكلة بشر ولا نصنع شرا » . أما بلاندينا وكانت آخر مسيحي يحضرونه للاستشهاد ، فعذبوها بكل أنواع التعذيب ، ولكنها كانت تهتم بمن كانوا يموتون حولها ، وأخيرا بعد أن عذبوها بالسياط ، وبعد أن مزقت أعضائها الوحوش ، وبعد أن وضعوها فى الكرسي المحمى ، لفوها فى شبكة وألقوا بها الى ثور فأخذها وطوح بها فى الهواء عدة مرات الى أن فقدت الوعي وماتت . وهكذا صارت بلاندينا القديسة العظيمة عند الفرنسيين .

شهيد مصرى :

بنى الامبراطور جاستينيان كاتدرائية القسطنطينية العظمى فى القرن السادس الميلادى وسماها « أيا صوفيا » باسم القديسة المصرية التى جاءت من ممفيس وهناك دفنت . استشهدت فى أثناء حكم الامبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨) ، وقد نقل الامبراطور قسطنطين جسدها الى القسطنطينية (انظر عزيز عطية سورياال : تاريخ المسيحية الشرقية ص ٣١ و ٣٢) .

انتصار الشهداء :

كانت المقابلة بين المسيحيين ومضطهديهم واضحة للجميع . فقد تحولت مدينة عظيمة (الرومانية) الى نوع من الوحشية والقسوة بواسطة شيطان لا يرضيه الا الدماء المسفوكة . وفى مواجهتهم وقف المسيحيون فى عبادتهم الجديدة وتواضعهم وشجاعتهم الباسلة ومحبتهم - يقويهم الروح القدس ، ليتحدوا ذلك الشيطان المتوحش الذى كان يحطم مجده روما واليونان . ولكن الروح القدس هو الذى ضمن لهؤلاء الشهداء النصر الى النهاية .

(*) مصدر هذا الجزء « الرسالة الى كنائس غالية » المسجلة فى كتاب

يوسابيوس السابق ٥ : ١ .

Carrington, Philip — The Early Christian Church,
Vol. 11, PP. 122 - 138 ; 239 - 253.

Frend, W.H. C. — Martyrdom and Persecution in the Early
Church, PP. 197 - 222.

Foster, John — The First Advance - Church History,
Vol. 1, PP. 49 - 51 ; 66 - 77.

رابعاً - إيريناوس IRENAEUS

يعتبر إيريناوس أعظم من ظهر من آباء الكنيسة الأوائل وكان له تأثيره الضخم في تشكيل الفكر الكنسي لسنين طويلة نظرا لمقدرته الفذة في الربط بين عناصر الفكر المسيحي مختلفة ، ووضعها في مفاهيم موحدة . فقد حارب ضد الهرطقة ، وعمل جاهدا على توضيح المعنى الحقيقي للكنيسة وبذلك وضع الأساس الكامل للكاتوليكية التاريخية ، وساعد على تثبيت الكتب القانونية للعهد الجديد وفسر الكتاب المقدس ليلقى ضوءا غزيرا على معنى عقيدة الخلاص .

حياة إيريناوس وعمله :

ولد إيريناوس في أوائل القرن الثاني الميلادي في آسيا الصغرى ، تربى في سميرنا حيث تعرف على بوليكاربوس ، ثم ذهب الى روما وقضى وقتا بها ، وأخيرا اختير شيخا في ليون بعد استشهاد بوثينوس ثم مات حوالي سنة ٢٠٠ م . أما عن كتاباته فلا يوجد لدينا منها سوى عملين : الأول « ضد الهرطقات (Against Heresies) » وهو في ٥ أجزاء (وقد كتب أصلا في اليونانية ، ولكن لم يبق منه سوى ترجمة لاتينية له) . والثاني « اعلان التعليم الرسولي » (The demonstration of Apostolic Teaching) (لم يبق منه سوى ترجمة أرمينية) .

لم يكن إيريناوس لاهوتيا بقدر ما كان مفسرا للكتب المقدسة . ولم يكن لديه طموح بأن يصير فيلسوفا عظيما ، ولكن كما قال هو : « انه يفضل أن يكون بسيطا غير متعلم ولكن قريبا الى الله في المحبة ، من أن يكون منتفخا بالمعرفة » (ضد الهرطقات جزء ٢ ، ٢٦ : ١) . ومع ذلك فقد

استطاع أن يحلل ويكشف الروابط الأساسية في الفكر المسيحي . وهذا أعظم ما قدمه للمسيحية .

ايريناويوس والكتاب المقدس :

في ذلك العصر كان مارسيون الهرطوقي ينشر أفكاره بخصوص الكتب المقدسة ، ما يجب أن يكون قانونيا وما يجب أن ينبذ ، فتصدى له ايريناويوس بكل قوة وبرهن على الحاجة الملحة لكل الأناجيل الأربعة مؤكدا وحدة اليهودية والمسيحية ، فالله الذى خلق العالم وأعلن نفسه لليهود هو نفسه اله المسيحيين . فاعلانه مستمر ويسوع المسيح هو ابنه ، والرسول لم يعلنوا عن اله مغاير . والكتب المقدسة التى يحتفظ بها اليهود هى نفسها التى يبني عليها المسيحيون ايمانهم . وهكذا كان ايريناويوس الصوت القوى المؤثر الذى دافع عن وحدة واستمرارية العهدين القديم والجديد .

سلطة الكنيسة ووحدةها :

كان ايريناويوس كذلك واحدا من أقوى المدافعين عن الخلافة الرسولية . وكانت حجته هى أن الأفراد والمدارس الفكرية (ويعنى بها : المارسونية ، الغنوسية ، المونتانية وغيرها) ليس لهم سوى خيالهم الجامع يعتمدون عليه ، بينما يعتمد الأساقفة على سلطة الأساقفة فى المراكز العظمى للكنيسة وهؤلاء بدورهم يستمدون سلطانهم من الرسل مباشرة . فسميرنا مثلا يرجع سلطان أسقفها الى يوحنا الرسول عن طريق بوليكاربوس . أما أفسس فسلطانها يرجع الى الرسول بولس ، وروما الى الرسولين بطرس وبولس ، والاسكندرية الى مرقس . وهكذا يصبح للمراكز المسيحية العظمى سلطانها الذى أخذته من الرسل الذين ارتبطوا بها . ثم يذكر ايريناويوس قائمة كاملة بأسماء أساقفة روما مبينا أن السلطان الذى جاء من المسيح عن طريق بطرس قد اتصل دون أى نوع من الانقطاع . هكذا أقر ان لدى الأساقفة نفس السلطة التى لدى الرسل وبهذه الكيفية أسست الهيئة الكنسية فى وحدتها وكمالها فى كل العالم المسيحي .

ناموس المسيح :

ولقد وصف ايريناويوس الناموس الطبيعى فى قلب الانسان وكذلك

الوصايا العشر بأنهما مؤديان يقودان الناس الى المسيح حيث يتعلمون الطاعة الكاملة . وهكذا عندما يصل الانسان الى ناموس المسيح فانه يكون قد تخطى حدود الحاجة الى تلك القوانين الطبيعية الداخلية . وتبدو طاعة المسيح الكاملة فى أمجد اعلان لها فى حياة الكنيسة التى هى جماعة المفديين الأمناء .

هذا ولم يشدد ايريناىوس كثيرا على التمييز الذى اشتهر به الرسول بولس بين الايمان والأعمال .

الفرائض :

واهتم ايريناىوس أيضا بفريضة الكنيسة : المعمودية وعشاء الرب كواسطتين لحياة الاتحاد السرى مع الله : « فأجسادنا عندما تتغذى بسر الشكر لا يمكن أن تكون فانية ، ولكن يصبح لها الرجاء فى القيامة للحياة الأبدية » . وبهذا ربط فى تفكيره الاتجاه الأخلاقى العملى للبر مع الاختبار السرى للفرائض بحيث يتحقق هذا الاندماج بصفة فريدة فى الكنيسة . ومن ذلك الوقت (بعد ايريناىوس) أصبح معروفا أن الاشتراك فى الفرائض مع الطاعة التى تربط الايمان الصحيح بالسلوك الكامل ، أمر ضرورى للخلاص . فلا بد أن ترتبط النعمة الالهية بالمجهود البشرى « (١) » . وعلى هذه المبادئ بنى المفهوم الأساسى لسلطان ووحدة الكنيسة العامة .

فكر ايريناىوس اللاهوتى عن اللوجوس (الكلمة) :

أما عن مجيء المسيح فقد كان ايريناىوس واحدا من لاهوتى عصره فى تفسيره ذلك بما سمي : « التفكير اللاهوتى عن الكلمة » ، فكلمة الله تجسد فى يسوع المسيح ابن الله ، أى فكر الله . فعند ايريناىوس ، الكلمة والله مترادفان تماما ، فالكلمة هو الله نفسه . واذا كان هناك تمييز بينهما ، فيكمن فى العلاقة بينهما ولكن ليس فى الجوهر ، فالآب هو الابن غير المنظور ، والابن هو الآب منظورا « (ضد الهرطقات جزء ٤ فصل ٦ : ٦) » .

(١) ١٠ س . ماكجفرت (McGiffert) ، تاريخ الفكر المسيحى جزء ١ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

قد تظهر بعض الشواهد التى تكشف عن أن إيريناوس قد وقع تحت تأثير عقيدة الموناركية (Monarchianism) (*) التى كانت المشكلة العويصة فى التفكير اللاهوتى فى ذلك العصر ، لأن بعض المفكرين تطرفوا فى التطابق بين الآب والابن لدرجة أن التمييز بينهما قد اختفى .

فكر إيريناوس اللاهوتى عن الخلاص :

ولكن عندما أراد إيريناوس أن يصوغ عقيدته عن الخلاص فإنه اتجه الى الرسول بولس وخصوصا فى مفهومه للمسيح كالإنسان الجديد أو آدم الأخير (١ كورنثوس ١٥ : ٤٥ - ٤٧) . ويقول إيريناوس ان العمل الأساسى للمسيح هو التجسد الذى فيه سار فى المنحدر الذى هبط اليه آدم فى سقوطه ، ثم حوله الى عمل فدائى مجيد « فما فقدناه فى آدم ، أى أن نكون على صورة الله وشبهه ، قد كسبناه فى يسوع المسيح » (ضد الهرطقات جزء ٣ فصل ١٨ : ١) . « نحن نتبع المعلم الصالح الكامل الوحيد، كلمة الله ، ربنا يسوع المسيح الذى لفرط محبته لنا أخذ مكاننا لكى يرفعنا الى مستواه هو » (ضد الهرطقات جزء ٤ فصل ١٨ : ٥) . ففى تجسده ربط طبيعة الله بطبيعة الإنسان وبذلك مجد هذه الطبيعة الأخيرة ، فأصبح الناس آلهة بالمعنى الحرفى ، اذ أن الخلاص فى مفهوم إيريناوس يحول الطبيعة البشرية الى طبيعة الهية . « فنحن لم نخلق آلهة منذ البدء ، ولكننا خلقنا بشرا ، ثم صرنا (بالمسيح يسوع) آلهة » (ضد الهرطقات جزء ٤ : فصل ٣٨ : ٤) .

وقد طبق إيريناوس هذا المبدأ على العذراء مريم فقال عنها انها سارت فى خطوات حياة حواء كما فعل ابنها بالنسبة لآدم ، « وانحلت عقدة عصيان حواء بطاعة العذراء » ولذلك أصبحت العذراء تعرف فى الكنائس الشرقية « كحواء الثانية » نتيجة لطاعتها الكاملة .

(*) الموناركية التى سنتكلم عنها فى الجزء الثانى من هذه الدراسة ، كانت الفكرة المسيطرة فى اللاهوت على مدى القرنين الثانى والثالث الميلاديين ، قبل أن يكتمل الفكر اللاهوتى عن التثليث . هذه الفكرة تتلخص فى تبعية الابن والروح القدس للآب .

ايريناوس المنسق :

إذا أراد دارس أن يلخص دور ايريناوس فى تاريخ الفكر المسيحى فلا يمكن أن تكون هناك كلمة مثل كلمة « المنسق » لتؤدى ذلك بكل دقة . نعم انه لم يكن مفكرا أصيلا له رأيه الأساسى ، ولكنه استطاع أن يوحد وينسق عناصر التفكير المسيحى فى خطوط واضحة ومفهومة فى عصر سادته الارتباك الفكرى والتذبذب . فقد أظهر وحدة الكتب المقدسة ، وحدة التعليم المسيحى اليهودى ، وحدة الكنيسة فى فرائضها وسلوكها الصالح والخلافة الرسولية ، والوحدة اللاهوتية للآب والابن ، ثم الوحدة النهائية للانسان مع الله بواسطة تجسد المسيح . وكما قال هو نفسه : « ومع أن الكنيسة تنتشر فى كل مكان فى العالم ، فانها تحمى هذا الايمان وكأنها تعيش فى منزل واحد ، وتؤمن ايمان عقل واحد وتعلم وتعظ وتسلم هذه الأمور كأن لها فما واحدا . ومع أن لغات العالم مختلفة ولكن قوة التعليم هى هى بذاتها لا تتغير . . . فالكنيسة التى غرست فى ألمانيا لم تؤمن أو تعلم تعليما يختلف عن تلك التى نمت فى أسبانيا أو غالة أو الشرق أو مصر أو ليبيا أو فى الأقاليم الوسطى من العالم . فالايمان هو واحد لا يتغير » (ضد الهرطقات ١ : ١٠) .

Carrington, Philip — The Early Christian Church,
Vol. II, PP. 307 - 328.

Danielou, J. and Marrou. H., The First Six Hundred Years,
The Christian Centuries, Vol. I, PP. 110 - 113.

Frend, W. H. C. — The Early Church, PP. 77 - 80.

Latourette, K. S. — A History of Christianity, PP. 131 - 133.

Leitzmann, Hans — A History of the Early Church,
Vol. II, PP. 204 - 215.

McGiffert, A. C. — A History of Christian Thought,
Vol. I, PP. 132 - 148.

Walker, Williston — A History of the Christian Church,
PP. 62 - 64.

الربع الأخير من القرن الثاني خامسة - امتداد الكنيسة في الامبراطورية

أ - تحسن أحوال المسيحيين

استمر المسيحيون أقلية صغيرة في وسط الامبراطورية المترامية الأطراف الى قرب نهاية القرن الثاني الميلادي ، وكان المثقفون ينظرون اليهم باحتقار ، أما عامة الشعب فكانوا يرتابون فيهم ويكرهونهم • ولم يكن الاضطهاد قد كف بتاتا بل كان ينفجر من حين لآخر ، ولهذا تقول السجلات ان عبادتهم كانت سرية ولم يجرؤا على أن يبنوا كنائس ظاهرة للعبادة •

ومع ذلك فكانت فترة تمتع فيها المسيحيون نسبيا بالأمان والسلام • وقد يكون السبب في ذلك هو نجاح الامبراطورية نفسها وانتشار الرخاء والسلام في ربوعها ، فقد كانت تكاليف المعيشة قليلة ، وكثرت المشروعات العامة وشيدت الطرق والجسور الجديدة ويصف ايريناوس ذلك قائلا : « انتشر السلام في العالم ويرجع الفضل في ذلك الى الرومان ، حتى نحن المسيحيين يمكننا أن نسير في الطرقات بدون خوف ، ونسافر الى أي مكان نقصده » (ضد الهرطقة جزء ٤ : فصل ٣٠ : ٣) • ويقول هيبوليتس (HIPPOLYTUS) وهو كاتب مسيحي أيضا ، ان المسيحيين قد سمح لهم بأن يشتروا قبورا في روما ليدفنوا فيها أساقفتهم • (*) ويؤيد يوسابيوس

(*) كان المسيحيون قبل ذلك يعتمدون على عطف بعض العائلات الغنية عليهم فيعطونها قطعة أرض أو كهفا يستخدمونه كمقبرة • ولربما تمكن المسيحيون من أن ينالوا حق ملكية مقبرة لا بالطرق القانونية ، بل باعتبارهم طائفة يهودية ، لأن اليهود كان لهم الحق في امتلاك مدافن خاصة بهم •

(المؤرخ المسيحى) ذلك قائلاً : « تغيرت معاملة السلطات لنا وصارت أحسن حالا فى عهد كومودوس (Commodus ١٧٧ - ١٩٢ م) ، وعم السلام على الكنيسة فى العالم كله بفضل نعمة الله » (يوسابيوس ، التاريخ الكنسى ٥ : ٢١) .

ب - حالة الكنيسة الداخلية

يقول و . ه . س فرند (Frend) وبحق : « كانت الكنيسة فى سنة ١٨٠ م أكثر ترابطا واتحادا من أى وقت سابق أو لاحق » (الاستشهاد والاضطهاد فى الكنيسة الأولى ص ٢٢٣) . فقد كانت لغتها واحدة وهى اليونانية حتى فى الغرب . أما الفكر اللاهوتى والتقاليد فقد اضطبغت بالصبغة الهلينية حيث نمت الكنيسة وامتدت ، وتمكنت الجماعات المسيحية من الاتصال بعضها ببعض رغم تبعثرها الواسع فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ويرجع الفضل فى ذلك الى السلام الذى حققه الحكم الرومانى . وبدأت تظهر شخصيات قوية قيادية فى الكنيسة وعلى الأخص فى المدن الكبرى مثل فيكتور (Victor) فى روما ، وديمترىوس (Demetrius) فى الاسكندرية ، وسيرابيون (Serapion) فى أنطاكية وغيرهم . وتمكن هؤلاء القادة عن طريق المراسلات أن يوحدوا جهودهم فى نشر النظام والوحدة فى كل الكنيسة . وكما سنرى فى الفصول التالية ، كانت هذه الفترة هى التى قبلت فيها الكنيسة التحدى الضخم الذى وضعته الهرطقات الكثيرة أمامها وقامت بالأمر التالية :

- ١ - تقوية سلطان الأسقفيات التى تركزت فيها إدارة الكنيسة .
- ٢ - اتفقت على قانونية الكتب المقدسة كأساس لايمان الكنيسة .
- ٣ - وضع العقائد فى عبارات مقبولة لدى الجميع فى كل البلدان .

ج - قضية الفصح

ومع ذلك فقد كانت للكنيسة متاعبها الكثيرة . ففى نفس هذه الحقبة التى بدأ فيها المسيحيون يحسون بالهدوء والراحة ، بدأت بوادر الاختلافات والمناقشات تظهر ، ويرجع ذلك الى الاختلاف الحضارى الذى كان ينمو

تدرجيا بين الغرب والشرق . فالكنائس الغربية بدأت تترجم نصوص الصلاة والعبادة اليونانية الى اللغة اللاتينية للاستعمال العام . أما المشاكل الكنسية واللاهوتية العميقة فلم تكن قد ظهرت بعد .

فى ذلك الوقت بدأت الكنيسة تجاهد لتحديد التاريخ الحقيقى لعيد القيامة الذى كان أهم الأعياد بالنسبة للمسيحيين فى العصور الأولى ، فكان الاتفاق على تاريخ واحد له أهمية حيوية ، ولقد كان من عادة الكنائس فى آسيا أن تعيد هذا العيد فى الرابع من نيسان الشهر اليهودى (اليوم الذى كانوا يذبحون فيه خروف الفصح) دون الالتفات الى موقع اليوم من الأسبوع ، فى حين كانت الكنائس الغربية تعيده فى يوم الأحد الذى يأتى مباشرة بعد الرابع عشر من نيسان ، قائلة ان هذا أقرب الى ما جاء بالإنجيل . ويظهر من احدى رسائل بوليكاربوس أن هذه المناقشة بدأت منذ سنة ١٥٥ م . ومن الأمور المؤسفة أن الأسقف فيكتور أسقف روما (١٨٨ - ١٩٩) دعا الى مؤتمر لكل أساقفة الكنيسة وطلب منهم قبول رأى روما ، ولكن أساقفة الكنيسة فى آسيا قاوموا هذا ، فما كان من فيكتور الا أن حرّمهم . وكان هذا صدمة مروعة حتى الذين وافقوه على موقفه ، أما ايريناوس فقد كتب اليه خطابا ليعرض وساطته فى الأمر ومن المحتمل ان فيكتور سحب قرار حرمانه . ولكن اختلاف الرأى استمر سنوات عديدة ، ولم تقترح الكنائس الآسيوية عن موقفها الى سنة ٣٢٥ م عندما انعقد مجمع نيقية حيث قبلت الرأى الآخر وصارت الكنيسة تعيد عيد القيامة فى يوم الأحد للشرق والغرب معا ، مع ان الفرق فى بعض الأحيان كان يصل الى خمسة أسابيع ، رغم تبنى نفس المبدأ فى تحديد التاريخ ، وذلك كله لاختلاف التقويم الشرقى عن التقويم الغربى .

د - ازدياد أهمية روما

وقد ظهر أمر آخر كانت له شواهد الواضحة وهو ازدياد سلطان المجتمع المسيحى فى روما الى درجة أن الكنيسة المسيحية هناك صارت أرفع شأنًا وأكثر أهمية من أية كنيسة أخرى فى العالم ، فكان ينظر الى كنيسة روما هذه النظرة الخاصة من قبل عصر الأسقف فيكتور الأول

وادعائه الحق فى أن يدعو الى مجامع عامة وجرائته على اصدار قرارات حرمان ضد الكنائس الأخرى . فقد كتب اكليمندس الرومانى (Clement) فى القرن الأول الى كنيسة كورنثوس وهو يتوقع أن تطيع أوامره . أما اغناطيوس الأنطاكى (Ignatius) فقد كتب عن روما فيقول : « ان لها رئاسة المحبة » . وبعد ذلك قال ايريناىوس : « انه من الأمور المهمة أن كل الكنائس تتفق مع كنيسة روما » (ضد الهرطقات جزء ٣ فصل ٣ : ٢) .

لقد كانت روما بالطبع عاصمة الامبراطورية وبالتبعية كانت عاصمة الكنيسة المسيحية كلها . فقد كان لها - حتى فى السنوات الأولى - الموارد المالية التى جعلتها ترسل المعونات الى الكنائس الأخرى ، ولكن أهم من هذا كله انها كانت المدينة التى استشهد فيها بطرس وبولس وصارت أيضا ملاذا لكل من عنده رسالة خاصة ، منحرفة أو مستقيمة ، فقد جاء اليها مارسيون وفالنتينوس والغنوسيون ثم جاستن والمونتانيون ، كلهم كانت لهم مدارسهم فى روما . وسواء أكانوا آسيويين ، أو سوريين ، أو يونانيين ، أو قرطاجينيين ، أو مصريين ، فقد كانوا يعرفون أنهم سيكسبون لهم أتباعا اذا ما أصغت اليهم كنيسة روما . وعلى هذا فقد أصبحت روما المركز الحقيقى للحكم فى القضايا الكنسية العظمى سواء أكانت نظام ادارة الكنيسة أم تقنين الكتب المقدسة أم عقائد كنسية .

Recomended English Readings

Carrington. Philip — The Early Christian Church,
Vol. I, PP. 381 - 382.

Frend, W. H. C. — The Early Church, PP. 84 - 88.

— Martydom and Perrecution in the Early Church,
PP. 223 - 253.

Goguel, Maurice — The Printive Church, PP. 386 - 412.

Walker, Williston — A History of the Christian Church,
PP. 60 - 61.

الخدمة - الكتب القانونية العقيدة

سادسا -

كان من أهم انجازات القرن الثانى التكوين الرسمى للكنيسة بطريقتين استمرت ثابتة الى عصرنا الحاضر . فقد كان على قادة الكنيسة أن يواجهوا القضايا الأساسية الخاصة بطبيعة التركيب الكنسى ، والكتب التى يجب قبولها كأسفار مقدسة ، والعبارات العقائدية التى يمتحن بواسطتها ايمان الشخص المسيحى ثم يتمسك بها كتعبير عن عقائده وايمانه . هذه الأسئلة ظهرت فى سنوات سابقة ولكن بطريقة أولية ، وكما يقول الكاتب الألمانى هيوس (Heussi) : « فى سنة ٥٠ م كان المسيحى هو من يعتمد بالماء ويقبل الروح القدس ويدعو يسوع ربا . أما فى سنة ١٨٠ م فكان على المسيحى أن يعترف بقانون الايمان ، وأسفار العهد الجديد وسلطان الأساقفة » (اقتبسها و . ووكر W. Walker فى الكتاب السابق ص ٥٧) .

١ - الخدمة الكنسية

حكام الكنيسة :

مر بنا أن لقبى أساقفة وشيوخ فى سفر الأعمال ، مترادفان . فقد كانت السلطة العليا فى يد الرسل لأنهم كانوا أول من عرف يسوع المسيح ، ثم عينوا موظفين ووضعوا عليهم واجبات ومسئوليات وأعطوهم سلطانا للقيام بها فى الكنيسة ، ولكن بدون أدنى تمييز بالنسبة للرتب . ولكن القرن الثانى شهد تطورا ، فصار الأسقف هو اللقب الذى يعطى لمن له المركز الأسمى فى الكنيسة المحلية والذى دائما يرأس الاجتماعات .

ارتفاع شأن الأساقفة - تطور طبيعي :

لقد كان ارتقاء الأساقفة الى ذلك المركز السامى يبدو تطوراً طبيعياً للأمور . فقد كانت المسيحية تنتشر من المراكز الكنسية الكبرى الى الأرياف والقرى وكان الأساقفة يرسلون الشيوخ والشمامسة لخدموا في تلك الكنائس الناشئة ، وبالتدريج يصبح الأسقف المدير الفعلى والمشرف عليهم ، وبدون شك ، الرئيس في كل اجتماعات اللجان . وفى سنة ١٤٠م ظهرت عبارة مجمع الشيوخ (College of Presbyters) ولكن الأساقفة كانوا الى ذلك الوقت يخاطبونهم بعبارة : « زملاؤنا الشيوخ » ولكن ما أن انتهى القرن الثانى حتى كان الأسقف هو الرئيس الفعلى الذى لا ينافسه أحد ، فى كنيسة واحدة أو عدة كنائس .

تحدى الهرطقات :

ولعل ظهور الهرطقات المتعددة كالغنوسية والمونتانية وتحديها للكنيسة كان عاملاً على ازدياد سلطة الأسقفية . فقد كان مونتانوس وادعاؤه أن له الحق فى الاتصال المباشر بالروح القدس أكبر تهديد يسلب الأساقفة حقوقهم فى التكلم عن الله . ولم يكن أمام الكنيسة لترد به على هذا الادعاء سوى أن تعلن أنها القناة الوحيدة الرسمية للروح القدس ، وأن الأساقفة هم القادة دون غيرهم الذين يستقبلون ارشادات الروح القدس ويفسرونها (أما الأمور الادارية الأقل شأنًا والمتصلة بالناس فقد تركت للشيوخ والشمامسة) . وصار واضحاً لدى الكنيسة أن الروح القدس لم يعد الآن يتكلم فى أى شخص دون النظر الى رتبة أو مكانة ، بل اقتصر فى كلامه وارشاده على الأساقفة . وتغير المثل القائل « الكنيسة توجد حيث يوجد الروح القدس » الى « الكنيسة توجد حيث يوجد الأسقف » .

الخلافة الرسولية :

ولا يقل أهمية عن ذلك ، ذلك الادعاء المتزايد من أن هؤلاء الأساقفة هم خلفاء الرسل ، وأن السلطان الذى اعطاه المسيح للرسول بطرس قد انتقل اليهم فى سلسلة متصلة من الأساقفة . ويتضح ذلك فى كتابات

ايريناوس الذى يقول ان الرسل قد استؤمنوا على كنوز الانجيل ، وهم بدورهم سلموها نقية تامة الكمال الى الكنيسة التى يرأسها الأساقفة وهكذا « أضحى التوافق مع الأساقفة ضرورة حتمية » . وكان هدف ايريناوس من هذا أن يكشف كذب الغنوسيين الذين ادعوا لأنفسهم معرفة سرية من الله قاصرة عليهم ، فهو يقول ان المعرفة الوحيدة التى من الله هى تلك التى أعلنها المسيح للرسل جهارا والكنيسة لا تعترف الا بها وعلى ذلك فيجب على المسيحي الذى يريد أن يتعلم أن يأتى الى الأساقفة ورجال الدين الذين أقاموهم ، حيث أنهم هم وحدهم الذين استؤمنوا على هذه التعاليم بنقاوتها الكاملة ، وان التسلسل المتصل للأساقفة من أيام الرسل هو الضامن الأعظم لبقاء هذه التعاليم ثابتة نقية ، « اذهب اذا الى روما أو الى سميرنا أو أفسس ، وتعلم ما يعلمونه هناك وسوف لا تجد أى عنصر غنوسى فيه » (ضد الهرطقة ١٠٠ اقتبسها و . وكر فى الكتاب السابق ص ٥٨) وترى الكنائس التقليدية أن خير مثال على انتقال السلطان الرسولى الى الكنيسة نجده فى كلمات العشاء الربانى التى يذكرها الرسول بولس فى (١ كو ١١ : ٢٣) « لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا ٠٠٠ » .

انتخاب الأساقفة وسيامتهم :

يعطينا هيبوليتوس (Hippolytus) (أحد شيوخ روما - توفى سنة ٢٣٦) فى كتابه « التقليد الرسولى » وصفا يساعدنا على معرفة كيفية اختيار ورسم الأساقفة فى تلك الحقبة . « يتم اختيار الأسقف بواسطة كل الشعب ٠٠٠ ويرسمه الأساقفة الآخرون فيضعون أيديهم على رأسه ، أما الشيوخ فانهم يقفون الى جوارهم فقط . ثم تتخلل ذلك فترة من الصمت يصلى فيها كل المجتمعين فى قلوبهم . ثم يضع أحد الأساقفة يده على رأس الأسقف الجديد المنتخب ثم يصلى صلاة التكريس ٠٠٠ وحالما يرسم الأسقف الجديد فان كل الحاضرين يقبلونه قبلة السلام ، ثم يتقدم الى خدمة عشاء الرب » (تلخيص كارنيجتون فى الكتاب السابق ص ٢٣٦) .

التنسيق فى السلطان الأسقفى :

كان الأساقفة فى العصر الذى تلا عصر الرسل مباشرة ، يستقلون

فى أبروشياتهم لا يشاركهم أحد من الأساقفة الآخرين • ولكن بمرور الزمن بدأوا يجتمعون معا فى سنودسات محلية ليناقدشوا الأمور التى تهم الكنيسة كلها ، وقد وضح ذلك كما مر بنا فى قضيتى المونتانيين وموعد عيد القيامة ، وسرعان ما بدأ الأساقفة فى المراكز الكنسية الكبرى يدعون دور البطارقة وسلطانهم الذى امتد الى ما وراء حدود أبروشياتهم • فمثلا جمع سيرابيون (Serapion) أسقف أنطاكية توقعيات من كل العالم المسيحى ضد المونتانيين • أما فيكتور أسقف روما فقد دعا كل الأساقفة الآخرين لدراسة قضية تاريخ عيد القيامة • ومهما كانت نقط الخلاف بينهم فقد كان الأساقفة يعاملون بعضهم البعض كزملاء ويحاولون الوصول الى قرار جماعى • ولقد ساند ايريناىوس هذا النظام الأسقفى كما يتضح من قوله : « ان الهرطقة جاءت متأخرين عن الأساقفة الذين سلم اليهم الرسل الكنائس ، وان بيانات عقائدهم مختلفة وتعتبر نشازا حقيقيا ، أما طريق أولئك الذين ينتمون الى الكنيسة ، ويعيشون فى وسط العالم متمسكين بتقاليد الرسل ، فبرهان على أن لهم نفس الايمان ونفس النوع من التنظيم » (ضد الهرطقات جزء ٥ فصل ٢٠ : ١) •

ب - قانونية الكتب المقدسة (*)

الكتب المقدسة فى عصر ما بعد الرسل :

كانت الترجمة السبعينية للعهد القديم معترفا بها من أيام المسيح واستخدمتها الكنيسة فى التعليم والعبادة بها ، ثم بعد ذلك شعر قادة الكنيسة بالحاجة الى تقنين كتب أخرى كانت موجودة ، وجمعها فى مجلد واحد اسمه العهد الجديد • فرسائل الرسول بولس والأنجيل الأربعة وبعض الكتب الأخرى كانت فى حوزة الكنيسة تتداولها وتستعملها ولكنها لم تكن تقبل كل الكتب ككتب قانونية • وهناك أمثلة لبعض الكتب التى لم تقبل ضمن الأسفار القانونية : رسالة أكليمنديس الى كورنثوس ، وراعى

(*) الكلمة الانجليزية (Canon) مشتقة من الكلمة اليونانية (Kanoon) معناها « حكم أو مقياس » • فهذه الكتب التى قبلت ككتب مقدسة كان يجب أن تثبت مطابقتها لبعض المقاييس التى وضعتها الكنيسة •

هرمس ورسالة برنابا . ولقد كان على الكنيسة أن تقرر ، وبصفة نهائية عدد الكتب القانونية وماهيتها لكي تجابه الهرطقات المتعددة وادعاءاتها في القرن الثانى الميلادى . ولعل مارسيون بأرائه المتطرفة فى رفضه العهد القديم وكل الأناجيل ما عدا انجيل لوقا ، كان العامل الحاسم الذى جعل الكنيسة تواجه هذه القضية وتقرر أيا من الكتب هو الموحى به من الله . (*)

الأسس التى بنى عليها قبول الكنيسة القانونية :

لقد بدأت الكنيسة تقبل كتبها القانونية المقدسة بالاتفاق العام بين كل الكنائس ، وعلى مدى سنوات الخبرة الطويلة والمقارنة أدرك المسيحيون القيم التى ميزت الكتب الموحاة من الكتب الأخرى التى لم تكن سوى كتب نافعة ومساعدة للأعضاء فى قراءتها . وكان أهم مقياس يعرفون به

(*) من المناسب أن نذكر كلمة مختصرة هنا عن الكتب الأبوكريفا (غيرالقانونية) التى كانت تظهر من وقت لآخر فى القرنين الأول والثانى . فلم تكن هذه الكتب مجموعة خاصة مثل أبوكريفا العهد القديم (التى قبلتها بعض الكنائس ككتب قانونية) ولكنها ظهرت مفردات متفرقة لتقلد كتب العهد الجديد القانونية . بعض هذه الكتب ظهرت فى شكل « أناجيل » كانجيل بطرس وانجيل توما وانجيل فيلبس وانجيل الحق وانجيل المصريين . وكان أهم هدف لهذه الكتب الأبوكريفية أن تعتبر امتدادا للأناجيل الحقيقية فأضافوا تفاصيل خيالية لقصة ميلاد يسوع وطفولته . أما انجيل نيقوديموس فهو يختص باستكمال قصة بيلاطس البنطى . وكان لها هدف آخر وهو نشر هرطقة تحت قناع الكتب المقدسة . فكم من أفكار وعقائد غنوسية نسبت الى يسوع فى « أبوكريفا يوحنا » و « وحكمة يسوع المسيح » . وهناك أيضا مجموعة كبيرة من كتابات الأبوكريفا فى هيئة رسائل من الرسل : كورنثوس الثالثة ، والرسالة الى اللاودكيين ورسالة تيطس .

وهناك أيضا نوع آخر من كتب الأبوكريفا هى كتب الرؤية المنسوبة الى بطرس ، بولس ، وتوما وغيرهم . ومع أن كتب الأبوكريفا كانت معروفة لدى المسيحيين ، وبعضها انضم الى الكتب القانونية الى حين ، ولكن قادة الكنيسة نجحوا فى استبعادها عن حق عندما عقد مجمع نيقية .

(هذا الجزء مبنى على ما جاء فى

The New International Dictionary of The Christian Church
J. D. Douglas (Ed., 1978 ; P. 54, 55).

الكتب المقدسة هو صلتها بالرسل (مثل بولس ويوحنا وبطرس) أو بتلاميذ مرافقين للرسل (مثل مرقس ولوقا) . ومن الطبيعي لم تعترف الكنيسة بكل الكتب التى نسبت الى تلميذ من التلاميذ أو رسول من الرسل، والسبب فى ذلك هو ظهور عديد من الكتب ادعت لنفسها هذه النسبة ، ولكن ثبت أن ادعاءها ذلك كان كاذبا . وهكذا صار الرسل أساسا لقانونية الكتب المقدسة ، كما كانوا أساس السلطان الأسقفى .

مصادر معرفتنا بالكتب القانونية :

لم تصلنا الى الآن معرفة واقية عن الكيفية التى اعتبرت بها الكتب المقدسة كتباً قانونية ، وذلك لندرة الكتابات التى بقيت من تلك الحقبة . فمثلا يشير يوسابيوس (فى التاريخ الكنسى) الى شخص يدعى بابياس (Papias) أسقف هيرابوليس (١٣٠ م) الذى كتب عن الأناجيل الأربعة ورسالة بطرس . أما إيريناوس فيذكر الأناجيل الأربعة . أما تاشيان السورى (١٨٠ م) فقد قام بجمع كتاب واحد من الأناجيل الأربعة وسماه « الدياتسارون » . هذا الكتاب الواحد المأخوذ عن الأناجيل الأربعة فى شكل قصة متكاملة ، ترجم الى اللاتينية والعربية ، ويستعمل فى الكنيسة السريانية الى هذا اليوم . أما القائمة التى تكاد تكون كاملة، بالكتب القانونية فهى « القائمة الموراتورية » Muratorian Fragment ويرجع تاريخها الى ٢٠٠ م وهى تحتوى على ٢٤ سفرا من أسفار العهد الجديد ومعها بعض الكتب التى رفضت فيما بعد . ولا بد أنه كانت هناك قوائم أخرى لكنها لم تصل إلينا . ولكن القائمة الكاملة بالسبعة والعشرين سفرا فى العهد الجديد فترجع الى سنة ٣٦٧ م ، فى خطاب للمقدس أثناسيوس أسقف اسكندرية .

ج - قانون الايمان

كيف تطورت العقائد :

رأينا كيف تطور مفهوم الكنيسة لرسالتها ، وكذلك كيف تقدمت فى طريق تحديد كتبها المقدسة سنرى هنا كيف قامت بوضع ايمانها فى صيغ

عقائدية • وبعض هذه الصيغ موجودة في العهد الجديد (كما ذكرنا من قبل) وقد حدث ذلك لمواجهة بعض الظروف الخارجية • في ذلك العصر كان مألوفاً أن يضع معتنقو الديانات الوثنية عقائدهم في صور طقسية ، كما حدث في أفسس عندما هبوا يعارضون وعظ الرسول بولس حيث قيل عنهم : « صار صوت واحد من الجميع صارخين نحو مدة ساعتين : عظيمة هي أرتاميس الأفسسيين » (أعمال ١٩ : ٣٤) • وقد قام المسيحيون بنفس العمل فكانوا يهتفون في عبادتهم بصوت واحد : « يسوع رب » كتحد صارخ ومباشر لديانة عبادة الامبراطور التي كانت تتطلب من كل مواطن صالح أن يعترف أن « الامبراطور رب » • بل لعل الرسول بولس قال ، كرد فعل لتعاليم الديانات الوثنية تلك الآية الشهيرة : « لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثرون وأرباب كثيرون ، لكن لنا اله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له • ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به » (١ كو ٨ : ٥ و ١٦) (*) •

(*) أمثلة من عقائد العهد الجديد :

أشهر العبارات العقائدية الموجودة في العهد الجديد هي التي تختص بالاعتراف بأن يسوع المسيح هورب :

(أعمال ٨ : ٣٧) : « أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله » •

(أعمال ١٦ : ٣١) : « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص » •

(رومية ١٠ : ٩) « لأنك ان اعترفت بفمك بالرب يسوع وأمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » •

(١ كورنثوس ١٥ : ٣ و ٤) : « فأننى سلمت اليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب • وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب » • (لاحظ أهمية السلطان الرسولي في هذه العبارة) •

هناك نوع آخر من العبارات العقائدية تتصل بالله الآب وهي قليلة نوعا ما :

(١ كورنثوس ٨ : ٦) : « لكن لنا اله واحد الآب الذي فيه جميع الأشياء ونحن له • ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به » •

(١ تيموثاوس ٢ : ٥ و ٦) : « لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع » •

اِخْتُسُوس Ichthus علامة السمكة :

العبارة العقائدية « ابن الله » أضيفت الى العبارة « يسوع رب » ،
فكونت واحدة من أول الصيغ العقائدية المسيحية وظهرت هكذا « يسوع
المسيح ابن الله المخلص » فاذا أخذت الحروف الأولى للخمس كلمات
الرئيسية فى اللغة اليونانية فانها تكون كلمة « سمك » .

ا	ايسوس	يسوع
خ	خرستوس	المسيح
ث	ثعيوس	الله
و	ميوس	ابن
س	سوتير	مخلص

وهكذا صارت السمكة رمزا للمسيحية يعرفه كل المؤمنين . وبعد
مدة أضيف اليها الحرف « T » اليونانى الذى يمثل شكل الصليب والمخلص
المصلوب . ومن الأمور العجيبة أن هذا الحرف « T » فى اللغة المصرية
القديمة يعطى معنى « المعطى » أو « الذى بذل نفسه ذبيحة » .

صيغ وضعت للدفاع عن الايمان :

ولكن فى عصر اغناطيوس (Ignatius ١١٠م) ظهرت صيغ
وعبارات عقائدية للرد على الهرطقة الدوستية . ويقول اغناطيوس فى
رسالته الى المسيحيين فى تراليس (Tralles) (٩ : ٤) : « سدوا

(=) وهناك نوع ثالث من العقائد التى تتصل بالأقانيم الثلاثة :

(متى ٢٨ : ١٩) : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب
والابن والروح القدس » .

(٢ كو ١٣ : ١٤) : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح
القدس مع جميعكم » .

انظر

(A Short History of The Early Church ; Harry A. Boer,
P. 74, 75.

آذانكم عن سماع أى واحد يتكلم عن غير يسوع المسيح الذى من نسل داود الذى من العذراء مريم الذى ولد بالحق ، وأكل وشرب واضطهد حقيقة فى عهد بيلاطس البنطى ثم صلب ومات أمام أنظار الكائنات التى فى الأرض والسماء وتحت الأرض ، وأقيم حقاً من بين الأموات ، أقامه أبوه السماوى . هذه عبارة لاهوتية عقائدية تحذر المسيحيين من أخطار الهرطقة . وهكذا فعل جاستن مارتير عندما وقف أمام متهميه قائلاً : « نحن نعبد اله المسيحيين الاله الواحد الذى نؤمن بأنه هو الخالق الأصلى لكل العالم ولكل الأشياء المنظورة وغير المنظورة ، والرب يسوع المسيح عبد الرب الذى تنبأ عنه الأنبياء كنبى الخلاص لكل البشرية ومعلم المعرفة السامية » .

صيغ عقائد وقت المعمودية :

لكن الى جانب هذه العقائد الدفاعية توجد صيغ عقائدية بسيطة صارت جزءاً من عبادة الكنيسة وصلاتها خصوصاً وقت المعمودية وكانت تقال فى صيغة قانون ايمان :

— « هل تؤمن بالله الآب القادر على كل شيء ؟ » .

— « هل تؤمن بيسوع المسيح ابن الله الذى ولد بالروح القدس من مريم العذراء ، والذى صلب فى عهد بيلاطس البنطى ومات وقام حياً فى اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب وسيأتى ليدين الأحياء والأموات ؟ » .

— « هل تؤمن بالروح القدس والكنيسة المقدسة وقيامة الجسد ؟ » .

(مقتبسة من هيبوليتس — التقليد الرسولى ٢١ : ١٢ — ١٤) .

هذه الأسئلة تعرف باسم « الصيغة الرومانية أو الرموز الرومانية (أى كلمة السر أو علامة واختبار للعضوية فى الكنيسة) التى انتشرت فى الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى . ويعتبر التأكيد على الأقنوم الثانى الرب يسوع المسيح دليلاً على الحاجة الماسة الى تحديد وتقنين الايمان المسيحى فى وجه الهرطقات المختلفة . لقد أرادوا أن يؤكدوا لاهوت السيد

وناسوته • ولعل هذه العبارات كانت النواة لتلك الصيغة الأكمل التي ظهرت في القرن الرابع وأطلق عليها قانون الايمان الرسولى •

كانت هناك صيغ عقائدية أخرى ظهرت في ذلك العصر ، ولكنها لم تكن تختلف عن هذه الصيغ التي سبقت فمن الواضح أن الكنيسة وبها أولئك الأساقفة الأقوياء كانت مهتمة أن تكون جبهة واحدة متحدة في وجه العالم المعادى لها •

Recomended English Readings

Carrington, Philip — The Early Christian Church, Vol. II,
PP. 329 - 339.

Danielou - Marrou — The Christian Centuries.
Vol. II, PP. 108 - 110.

Foster, John — Church History I - The First Advance,
PP. 53 - 64.

Frend, W. H. C. — The Early Church - PP. 84 88.

Leitzmann, Hans — A History of the Early Church,
Vol. II, PP. 48 - 123.

Latourette, K. S. — A History of Christianity,
PP. 131 - 136.

Walker, Williston — A History of the Christian Church,
PP. 57 - 60.

ملحق رقم (١)

قائمة الكهنة خلال القرن الأول والثاني

البطيركية البيزنطية (٣)		بطيركية روما (٢)		بطيركية الاسكندرية (١)	
التاريخ	الاسم	التاريخ	الاسم	التاريخ	الاسم
٣٨ م	القديس اندراوس	٦٤ م	القديس بطرس	٦٣ م	القديس مرقس
٣٨ - ٥٤	استاخيس Stachys				
٥٤ - ٦٨	انسيمس Onesimus	٦٧ - ٧٦	لينس Linus	٦٣ - ٨٣	أنانياس Ananias
٧١ - ٨٩	بوليكاربوس الأول Polycarpus I	٧٦ - ٨٨	أناكليتس Anaclelus	٨٣ - ٩٥	أبيلوس Abilius
		٨٨ - ٩٧	أكليمنس Clement		
٨٩ - ١٠٥	بلوتارخس Plutarchus	٩٧ - ١٠٥	إيفارستوس Evaristus	٩٥ - ١٠٦	سيردون Cerdon

البيروكية البيزنطية (٣)		بيروكية روما (٢)		بيروكية الاسكندرنية (١)	
التاريخ	الاسم	التاريخ	الاسم	التاريخ	الاسم
١١٤ - ١٠٥	سيداكيون Sedekion	١١٥ - ١٠٥	اسكندر الاول Alexander I	١١٨ - ١٠٦	بريموس Primus
١٢٩ - ١١٤	ديوجينيس	١٢٥ - ١١٥	سيكتوس الاول Sixtus I	١٢٩ - ١١٨	جستوس Justus
١٣٦ - ١٢٩	اليوثيريوس Eleutherios	١٣٦ - ١٢٥	تيليسفوس Telesphorus	١٤١ - ١٢٩	يوميونيوس Eumenios
١٤١ - ١٣٦	فيلكس Felix	١٤٠ - ١٣٦	هاجينوس Hgginus		
١٤٤ - ١٤١	بوليكاريوس الثاني Polycarpus II				
١٤٨ - ١٤٤	اثينودورس Athenodorus				
١٥٤ - ١٤٨	ايوزيوس Euzios	١٥٥ - ١٤٠	بيوس الاول Pius I	١٥٢ - ١٤٢	مرقس الثاني Marcos II

بطريركية الإسكندرية (١)		بطريركية روما (٢)		البطريركية البيزنطية (٣)	
الاسم	التاريخ	الاسم	التاريخ	الاسم	التاريخ
سيلاديون Celadion	١٥٢ - ١٦٦	أنيسقوس Anicetus	١٥٥ - ١٦٦	لورنتيوس Laurentius	١٥٤ - ١٦٦
أجريبينوس Agrippinos	١٦٦ - ١٧٨	سوتير Soter	١٦٦ - ١٧٥		
جوليانوس Julianos	١٧٨ - ١٨٩	اليوثيريوس Eleutherios	١٧٥ - ١٨٩	بيرتيناكس Pertinax	١٦٩ - ١٨٧
		فيكتور الاول Victor I	١٨٩ - ١٩٩	أوليمبيانوس Olympianos	١٨٧ - ١٩٨
ديمقريوس Demetrios	١٨٩ - ٢٣٠	زفرينوس Zephyrinos	١٩٩ - ٢١٧	ماركوس Marcos	١٩٨ - ٢١١

- ١ - ايريس حبيب المصري : قصة الأقباط : مجلس الكنائس الشرقية ، القاهرة ١٩٧٨ ص ٥٨٣ .
- ٢ - ميناردس أوتو : مصص المسيحية : قديما وحديثا ، القاهرة ١٩٦٥ و ١٩٧٧ - ص ٢٢ - ٢٣
- ٣ - موسوعة المعلومات : نيويورك ، مطبعة فيكينج - ١٩٧٩ - ص : ٤٤١
- ٤ - كوبهام : بطارقة القسطنطينية : مطبعة جامعة كمبرج ١٩١١ ص ٨٩ - ٩٦ .

ملحق رقم ٢ :
تاريخ الحوادث الرئيسية الى سنة ٢٠٠٠ م

حوادث دينية	التاريخ	حوادث سياسية
	١٤ م	موت أغسطس ، الامبراطور طيباريوس (أسرة يوليوس - كلوديوس ١٤ - ٦٨) بيلاطس والى اليهودية .
ظهور يوحنا المعمدان ومناداته	٢٧ - ٢٩	
موت المسيح وقيامته	٣٠	
	٣٦	بيلاطس البنطى يترك اليهودية
استشهاد اسطفانوس	٣٦ / ٣٧	
	٣٧	موت طيباريوس ، وتولى غايس (كاليجولا)
تجديد بولس	٣٨	
	٤١	كلوديوس يصبح امبراطورا
استشهاد يعقوب أخى يوحنا	٤٣ / ٤٤	
مجمع اورشليم	٤٩	
	٥٠	اليهود يطردون من روما
بولس فى كورنثوس	٥١ / ٥٢	
	٥٤	موت كلوديوس ، نيرون يصبح امبراطورا
القبض على بولس فى اورشليم	٥٨	
رجم يعقوب أخى السرب	٦٢	
الاضطهاد الأول	٦٤	حرق روما
	٦٦	ثورة اليهودية
	٦٨	انتحار نيرون وتولى الأباطرة جالبا واوتو وفيتاليوس
	٧٠	تيطس يستولى على اورشليم
رسالة أكليميندس الرومانى الى كورنثوس	٩٥	تولى نيرفا الامبراطور
	٩٨	الامبراطور تراجان
موت يوحنا	١٠٠ م	

ملحق رقم ٢ :

تاريخ الحوادث الرئيسية الى سنة ٢٠٠٠ م

حوادث دينية	التاريخ	حوادث سياسية
	١١١	بلنى الأصغر يحكم بيثينية
	١١٧	موت تراجان ، وتولى هادريان
	١٣٢	ثورة اليهود بقيادة باركوكبا
	١٣٨	موت هادريان وتولى انطونيوس
		بيوس الامبراطورية
	١٦١	ماركوس اوريليوس يتولى عرش
استشهاد بوليكاربوس أسقف سميرنا	١٦٩ / ١٦١	الامبراطورية
استشهاد جاستن مارتري فى روما	١٦٧ / ١٦٣	
ظهور المونتانية	١٧٠	
شهداء ليون ، ايريناىوس يصير	١٧٧ / ١٧٥	General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
أسقف ليون	١٧٧	تولى كومودىوس ويسمى نفسه
		الامبراطور الوحيد
	١٨٠	موت ماركس اوريليوس، فيصبح
		كومودىوس الامبراطور
		الوحيد
ظهور المناقشة حول تحديد تاريخ عيد القيامة	١٨٩ / ١٩٠	
	١٩٣	اغتيال كومودىوس
	١٩٤	ببتموس سافىروس يصبح
		الامبراطور الوحيد
ترتليان وحركة الدفاع	١٩٧	
قرار سافىروس بمنع الدخول فى اليهودية أو المسيحية	١٩٧	
هيولييتس وتفسير سفر دانيال	٢٠٣	
ترتليان يصبح مونتانيا	٢٠٧ / ٢٠٨	

* مقتبسة من

Danielou - Marrou : The christian Centuries, Vol. I.

The first six hundred years.

هذا الكتاب يصور
تاريخ الكنيسة في
القرنين الأولين وما لاقته
من صعوبات واضطهادات
وهزات ، وكيف
دافعت عن عقيدتها
لينتصر الحق .
تاريخ مجيد بأسلوب
سهل ممتع ومفيد .